لما كانت الحروب تتولد في عقول البشر ففي عقول البشر يجب ان تبنى حصون السلام

الثمن 200 أوقية

الموكب الثقافي

ثقافية - - تربوية - أدبية - علمية - جامعة اكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1996

6.7.8

معرض أودية النيجر:

الخطاب الأفتتاحي لمعالي وزير الثقافة والتوجيه الاسلامي السيد خطري ولد جدو

تجربتي الروائية

د. سهيل أدريس

صورة الحد في المضيلة الموريتانية (2)

الثقافة والتنمية المندمجة

من خلال تجربة المعارض المتخصصة في المتحف الوطني

الطب التقليدي ماله وما عليه

اليونسكو في سطور 50 سنة من العمل

Adana
1996

الموكب الثقافي

ثقافية- تربوية - أدبية - علمية - جامعة اكتوبر، نوفمبر ، ديسمبر 1996

المدير الناشر

الاستاذ احمد بدي ولد احمدو فال

رئيس التحرير

الاستاذ محمد الامين ولد المنير

سكرتير التحرير

الاستاذ احمد جدو ولد محمد

المدير الفني

الاستاذ محمد ولد احظانا

المحررون

الاستاذ محمد فال ولد عبد الرحمن

د. عبد الله ولد السيد

أ. بوبه ولد محمدنافع

أ. الشيخ المعلوم ولد محمد سالم

الاستاذة مريم بنت بكر

الاستاذة لاله بنت محمد محمود

سكريتر تحرير الملحق الفرنسي

احمد ولد الشيخ

رسوم

م. احظانا

طباعة وماكيت

م.م.ل ولد بيجه

544-61

سحب

المطبعة الوطنية

كتب في هذا العدد :

معالي وزير الثقافة والتوجيه الاسلامي

السيد خطري ولد جدو

احمد بدي ولد احمد فال

الشاعر احمد ولد عبد القادر

د. سهيل ادريس

د. هيبتنا ولد سيد هيبه

أ.محمد ولد احظانا

أ. محمد فال ولد عبد الرحمن

أ. الشيخ المعلوم ولد محمد سالم

الاستاذة. السالكة بنت اسنيد

د. عبد الله ولد محمد الناجي

د. محمد فاروق حسن

أ. احمد ولد محمد يحيى

الخليل ولد مولود صحفي

أ محمد ولد تتا

أ محمد محمود ولد الزبير

أ السالك ولد محمد المصطفي

فهرست المواضيع العربية

الابواب	الصفحات
الافتتاحية	5
معرض اودية النيجر	
الخطاب الافتتاحي لمعالي وزير الثقافة و التوجيه الاسلامي	6
اخبار المنظمات	8
اليونسكو في سطور بمناسبة مرور 50 عاما على انشائها	
المحور الثقافي	
الثقافة و التنمية المندمجة من خلال تجربة المعارض المتخصصة في المتحف الوطني	10
المحور الادبي	
- شهادات	
د سهيل ادريس ، تجربي الروائية	17
د. مبتنا ولدسيد مبه أنا والطفولة واللغات	19
- معالجات ،	
التغني بالمكان في شعر الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيديا	22
محور الثقافة الشعبية،	
ضورة الجن في المخيلة الموريتانية	26
من قيم الفتوة في الشعر الشعبي" الغفلة والضلال"	29
حكاية البنت البارة	33
سدوم ولد انجرتو عبقرية التشاكل الصوتي والمعجمي	35
كناش الأدب الشعبي	38
محاضرات ومداخلات	
- محاضرة،	
الشيخ عبد الله ولد بيه، الاسلام وحوار الحضارات،	39
- مداخلة،	
احمد ولد عبد القادر ، الامام الحضرمي هل سنـ ـيي حقا ذكراه الألفية؟	41
محور التراث	
مخطوط "فتح الصمد في ذكر شئ من أخلاق أحمد"	43
المحور العلمي،	
- معالجات	
الطب التقليدي، ماله وماعليه	48
صحة،	52
الأم تدخن والجنين يدفع الثمن	

افتتاحية

أحمد بدي ولد أحمدو فال

بدأ " الموكب الثقافي " يأخذ حيزه. من اهتمام القارئ المثقف شيئا فشيئا..ونحن سعداء بالصدى الذي يتركه كل عدد من مجلتنا في الأوساط الثقافية الموريتانية. والعربية. لكننا لن نركن لوقف مجهودنا. بل نعمل بإخلاص ودأب يليقان بمستوى الرسالة التي تحملها المجلة إلى جيلي الحاضر والمستقبل.وتعد النوعية المتميزة هدفنا الأسمى. ولذلك قمنا بتحديد دورية صدور للمجلة كل شهرين. بعدد مزدوج وذلك لعدة اعتبارات. من أهمها:

-أن الحدث الثقافي. والإنتاجية الثقافية. لم يصلا بعد الى الكثافة التي تغذي مجلة بحجم " الموكب الثقافي " بمادة نوعية كل شهر.

أن المجلة قد أضافت ملحقا بالفرنسية من اثنين وعشرين صفحة. وهذا مما يزيد من أعباء تحصيل المادة اللائقة. إضافة للاجراءات الفنية التابعة لهذه الزيادة التي أصبحت ابتداء من هذا العدد مستمرة.

ولا يفوتنا أن ننوه بمستوى التأثير المباشر. الذي يحدثه أفق حرية النشر والتعبير. في إقبال الكتاب والمثقفين على الانتاج الثقافي والفكري والأدبي مما يجعلنا نطمح طموحا مشروعا الي توفر مادة ثقافية وادبية وفكرية وفيرة تغذي أكثر من مجلة متخصصة

وقد شرفنا الكاتب الروائي العربي د سهيل ادريس بتخصيصنا بمقال ننشر جزءه الاول في عددنا هذا.

وبعد فلنهنأ بحريتنا. ولنستغلها من أجل إرساء نهضة ثقافية تليق بنا. ولنعترف بالجميل لمن أسس لهذه الحرية أركانها.

معرض أودية النيجر في موريتانيا : 4 نوفمبر 1996

الخطاب الافتتاحي لمعالي وزير الثقافة و التوجيه الاسلامي

السيد خطري ولد جدو

- صاحب المعالي الوزير الأول
- اصحاب المعالي الوزراء
- أصحاب السعادة السفراء
- أيها المدعوون الكرام

يقام معرض "أودية النيجر"، هنا، في مسقط رأسه حيث مهد حضارة " الساحل" وملتقى تياراتها الفكرية وقوافل امداداتها الاقتصادية: موريتانيا، وريثة" امبراطورية غانا" وعاصمتها الزاهرة " كمبي صالح" التي كانت مركز إشعاع وادي النيجر ومنارته الوهاجة بل واسطة العقد المتلألئ من مدن الصحراء والساحل التي تفردت بطرازها المعماري البديع، وبأشكالها الهندسية العملية وزخارف واجهاتها المترفة، ونمط عيشها الواحد الرغيد في تيمبكتو وجنه، وكاوه، وجانيت، وولاته، وغدامس، ومراكش، وغيرها من الحواضر الجميلة التي لا تزال ذاكرة الصحراء الكبرى تردد مآثرها على مر الأيام واصلة لا فاصلة بين عدوتي: شواطئ المتوسط وضفاف أودية النيجر.ليس غريبا، إذا، أن تلتقوا ، على الرحب هنا، فعلى بعد فراسخ من هذا المتحف، يقع الرباط الذي منه انطلقت جحافل المرابطين، تحمل إلى " حوض النيجر" جنوبا" وما وراءه، و" جبل طارق شمالا، وما بعده، رسالة التوحيد مفعمة بالتسامح، ومسكونة بالسكينة تبني الحضارة وتعتق الإنسان الخلاقة من وتحرر طاقاته أوهام الخرافة وأدران الوثنية ليبدع علما وعملا من أجل الإنسان، وما الحضارة إلا علم وعمل من أجل بناء مآثر خالدة تثري السجل الحافل للحضارة الإنسانية.وموريتانيا اليوم في عهدها الزاهر، عهد فخامة رئيس الجمهورية السيد معاوية ولد سيد احمد الطايع تؤسس مجتمع المصالحة مع الذات، واحترام الآخر، وتقديس الرأي، وحرية التعبير، وانعتاق الإبداع، وتعيد بفعله مجدا تالدا وتشيد على خطاه مجدا طارفا يستلهم الماضي ليستشرف المستقبل، وما المجد إلا طارف وتليد.

لقد جعل فخامة الرئيس معاوية ولد سيد احمد الطايع من قطاع الثقافة قطاعا يحظى بكامل العناية تأكيدا لذلك الدور واستمرارا لذاك العطاء. وأسند إليه مهمة النهوض بالثقافة موروثا وإبداعا وممارسة في مختلف المجالات، وما إشراف معالي الوزير الأول السيد/الشيخ العافية ولد محمد خونا، المباشر، على هذا الحفل المهيب، رغم مشاغله الجمة، إلا برهان على المكانة التي تحظى بها الثقافة في برنامجه الحكومي الحافل.

– صاحب المعالي الوزير الأول...

– أيها السادة...

– أيتها السيدات..

إن الهدف من إقامة هذا المعرض، وبهذا المستوى الفني الرفيع، وتنقله بين عواصم ومدن كبيرة، هو التعريف بتراث انساني خالد، ذي خصوصية تعطيه جمالية خاصة وأهمية متفردة لدى الباحثين والمختصين خليقة بدفعهم إلى المزيد من التنقيب والبحث والاستنتاج، كما يعرف الجمهور على موروثه الرائع ويعينه على حمايته من النهب والضياع.

– معالي السوزير الأول

– أيها السادة الحضور

إن الشراكة المتميزة التي جمعت بين مؤسسات جنوبية/ جنوبية، وجنوبية/شمالية فضلا عن كونها تجسيدا علميا لحلم شراكة تتوق إليه المنظومة الدولية منذ عقود، فإنه يؤكد على حالة إنسانية سامية: ذلك أنه كلما اتجهنا إلى صميم الفعل الحضاري اتجهنا إلى مكامن فطرة الخير في انسانيتنا الواحدة، واستجبنا لغاياتها النبيلة في صنع الحضارة وحفظ معالمها المشتركة في فضاء انساني سمح، نسميه: حوار الحضارات.

إن التحف الثمينة التي تشاركون بها في هذا المعرض تعيد تشكيل تاريخ المنطقة في مجمله رغم عوادي الزمن ولهذا ستكون تجربتكم مثالا يحتذى به للمتاحف الافريقية لتواكب التقدم الكبير الحاصل في ميادين الحفظ والاقتناء والعرض.

وإنني إذ أشكركم وأدعوكم إلى الإستمرار في القيام بهذا الدور الهام، لأنوه بما تضطلعون به رغم شح الموارد وقسوة المحيط. والتقدير موصول بالثناء على ما قامت به المجموعة الأوربية، و " تجمع المتاحف الفرنسية" وهيئة ألف" والتعاون الفرنسي" و" المنسقية الجهوية للمعرض"، من مجهودات، وما قدمت من معونات مادية ومعنوية لإنجاح هذه التظاهرة الحضارية الدولية، كما لا يسعني إلا أن أشيد بدور الفقيد الاستاذ جان دفيس الذي توفي في شهر يوليو الماضي وهو صاحب مبادرة تنظيم هذا المعرض ومفوضه العام، وقد سبق أن وشحه فخامة رئيس الجمهورية بوسام الاستحقاق الوطني، درجة فارس. فليجد ما هو أهل له.

– صاحب المعالي الوزير الأول..

– أصحاب المعالي الوزراء..

– أصحاب السعادة السفراء..

– أيها الحفل الكريم..

بتوفيق الله وحسن عونه ندعو معالي الوزير الأول لافتتاح معرض " أودية النيجر"، متمنين لضيوف الجمهورية الاسلامية الموريتانية موفور الصحة وطيب المقام.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اليونسكو في سطور

بمناسبة مرور 50 عاما على إنشائها

اليونسكو هي وكالة متخصصة في ميادين التربية والعلم والثقافة تابعة للأمم المتحدة ومقرها الدائم في باريس تأسست في 16 نوفمبر 1945 بلندن في أعقاب الحرب العالمية الثانية ولغات عملها الرسمية هي : العربية، الفرنسية، الانجليزية، الروسية، الصينية، الاسبانية. يتمثل دورها في المساهمة في:

-*صون السلم والأمن عن طريق التربية والعلم والثقافة وعلى توثيق عرى التعاون بين الأمم لضمان الاحترام الشامل للعدالة والقانون وحقوق الانسان والحريات الاساسية لكافة الناس دون تمييز حسب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين.

-* تيسير نقل المعارف المتعلقة بكيفية القضاء على الأمية العقبة الكأداء في سبل التنمية.

-* تحسين نظم التعليم في عصر تتمثل موارده الرئيسية في الذكاء والابداع والقدرة على التأقلم.وقد ركزت اليونسكو على المعارف ادراكا منها أنها السبيل الوحيد الذي يتيح لكل شخص فرص الانتفاع بالعلم والتكنولوجيا اللازمة لتعزيز قدرات الاتصال وتيسير تداول المعلومات.

تضم اليونسكو 184 دولة منها 177 أنشأت لجانا وطنية تضم ممثلين عن مختلف الأوساط الوطنية المعنية بالتربية والعلم والثقافة وترتبط بعلاقات تعاون رسمية مع 588 منظمة غير حكومية و 1200 منظمة أخرى تتعاون معها بين حين وآخر. كما يقوم زهاء 4800 بين المراكز والنوادي والجمعيات بمساندة عمل المنظمة ميدانيا والترويج لانشطتها وغاياتها بين صفوف الجمهور هذا فضلا عن تولي 3200 مدرسة منتسبة لليونسكو غرس مبادئ التسامح والتفاهم الدولي في صفوف النشىء.

الأجهزة:

تتكون اليونسكو من ثلاث هيئات:

- المؤتمر العام: الذي يشارك في أعماله ممثلوا الدول الاعضاء ويجتمع في دورة عادية مرة كل سنتين وهما:

- الهيئة العليا: التي تحدد برامج المنظمة وميزانيتها وتعتمدهما عن طريق الاقتراع ولكل دولة عضو صوت واحد .

-المجلس التنفيذي: ويتكون من 51 دولة عضو ويعقد بوجه عام دورتين كل سنة وهو أشه ما يكون بمجلس إدارة يشرف على تنفيذ قرارات المؤتمر العام ويعد لهذا الاخير أعمال دورته ومشوع البرنامج والميزانية مشفوعا بالتوصيات التي يراها مناسبة.

الأمانة العامة: وعلى رأسها مدير عام ينتخبه المؤتمر العام لمدة ست سنوات ومهمة الأمانة العامة تلخص بوضع قرارات والتزامات الدول الاعضاء موضوع التنفيذ. يشتغل بها 2200 موظفا مهنيا وغير مهني هم أعضاء في الامانة العامة منهم 500 يعملون خارج المقر في 53 مكتبا وتتوزع أهم هذه المكاتب على النحو التالي:

المنطقة العربية

مكتب التربية الإقليمي للدول العربية:

اخبار المنظمات

عمان–الأردن / بيروت – لبنان.
المكتب الإقليمي للعلم والتكنلوجيا في الدول العربية :
القاهرة – مصر.

المنطقة الافريقية:

مكتب التربية الإقليمي لأفريقيا : دكار – السينغال.
المكتب الإقليمي للعلم والتكنلوجيا في إفريقيا:
نيروبي– تانزانيا

منطقة آسيا والمحيط الهادي:

- المكتب الإقليمي للتربية والنهوض بالكتاب في آسيا والمحيط الهادي: اسلام أباد– باكستان.
للكتب الإقليمي للعلم والتكنلوجيا في جنوب ووسط آسيا: نيو دلهي– الهند.

منطقة اوروبا وأمريكا الشمالية:

المكتب الإقليمي للعلم والتكنلوجيا ومكتب الاتصال لصون مدينة البندقية:. البندقية – ايطاليا.
المركز الأوروبي للتعليم العالي : بوخرست رومانيا.

منطقة أمريكا اللاتنية والكاريبي:

المكتب الإقليمي للثقافة في أمريكا اللاتنية والكاريبي هافانا – كوبا.
المكتب الإقليمي للعلم والتكنلوجيا في أمريكا اللاتنية والكاريبي منتيفديو– الأوروكواي
شبكة الكاريبي للتجديد التربوي من اجل التنمية – بريدجناون – البرازيل.
مكتب التربية الاقليمي لأمريكا اللاتينية والكاريبي – سانتياغو.

الميزانية حسب مجالات التدخل

بلغت ميزانية اليونسكو 455 مليون دولار لعامي 1994–1995 وهي مجموع اشتراكات الدول الاعضاء ينضاف إليها للفترة المذكورة مبل 275 مليون دولار تأتي من مصادر خارجة عن الميزانية وهي عبارة عن مشاركات أو مساهمات مصدرها بصورة رئيسية منظمات دولية أو دول تنفق على أنشطة محددة وهذه الميزانية موزعة على ميادين التدخل كالتالي:

التربية	% 36
العلم	% 21
الثقافة	% 16
الاتصال والاعلام والمعلومات	% 10
العلوم الاجتماعية	% 09
المشروعات والانشطة المشتركة بين التخصصات	% 08

وتسعى اليونسكو بغية تحقيق الالتزامات التي تنطوي عليها مهمتها بوظائف خمس كبرى ويشمل كل نشاط من انشطتها عددا من هذه الوظائف وتعطي الأفضلية للدول الأقل نموا وخاصة افريقيا. وهذه الوظائف هي:

-استشراف آفاق المستقبل: أي نوع من التربية والعلوم والثقافة والاتصال للغد؟

-تقدم ةتقاسم ونقل المعرفة عن طريق الاعتماد في المقام الأول على البحث والتعليم والتدريب.

-العمل المعياري: وضع القوانين الدولية وإعادة النظر فيها وتعديلها وتطبيقها،

-الخبرة المقدمة إلى الدول الأعضاء لصياغة سياساتها ولاعداد مشروعات التنمية.

-تبادل المعلومات المتعلقة بمختلف ميادين الاختصاص.

وتتولى المكاتب الخارجية تنفيذ البرامج بالتعاون مع اللجان الوطنية التي تعتبر اجهزة اتصال بين الدول الأعضاء ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم الثقافة.

المحور الثقافي

الثقافة والتنمية المندمجة من خلال تجربة المعارض المتخصصة في المتحف الوطني

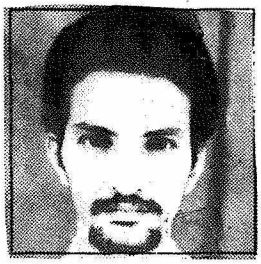

الاستاذ محمد طالل ولد عبد الرحمن
رئيس قسم المتحف الوطني

لاجدال في أن المتاحف غدت اليوم من أنشط مرافق الثقافة في جميع أنحاء العالم ويتجلى ذلك بوضوح في الصلة التي تقوم بينها مع الجمهور، والطريقة التي تقدم له بها نفائس التراث الوطني، بعد جمعها وحفظها ورعايتها، والعمل على استثمارها بكل السبل الممكنة، مما يجسد الحيوية والفعالية التي تميز دور المتاحف في العملية التنموية برمتها، على المستويات الوطنية والاقليمية والدولية. فكيف يتجلى ذلك من خلال تجربة المعارض المتخصصة في المتحف الوطني؟

تقوم تجربة المعارض المتخصصة على تصور يهدف إلى إدخال الركن الثقافي إلى عمق هموم وطموحات كل حقل تنموي على حدة، للوصول في نهاية المطاف إلى صياغة علاقة نوعية " تتاح فيها للثقافة الوسائل اللازمة لكي تصبح دليلا تسترشد به مباشرة عملية التنمية وتخصص التنمية بدورها مكانا رئيسيا للثقافة بحيث تضطلع بمهمة التنظيم الاجتماعي» (1) على حد تعبير السيد/فريدريكو مايور المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم.

ومن الواضح أن هذه الرؤية تستبعد التوجه الذي يرى أن "الثقافة – كما يقول ابرودويل– لا تقوم إلا على فاضل الإنتاج، لأنها هي نفسها استهلاك بل تبذير" ذلك أن تجارب الكثير من الدول تقود إلى خلاصة مفادها أنه "كلما حاول أحد البلدان أن يحقق النمو الاقتصادي بمعزل عن البيئة الثقافية وجد نفسه بإزاء اختلالات خطيرة اقتصادية وثقافية على السواء"(3) وهذا أمر طبيعي لأن الثقافة هي " علاقة توتر مستمر بين الوعي والواقع"(4) تتلخص رظيفتها في "تكوين العقل، أي جملة

المحور الثقافي

الطرائق والمعايير التي تحكم رؤية الإنسان للواقع وتنظمها وتحددها كيفية استيعابه لهذا الواقع. "(5) دون التركيز على حقل بعينه دون بقية الحقول، مما يزيف تماسك الوعي والانسجام، ويحدث ثغرات خطيرة في السلوك ويدمر الشمولية التي تميزه. ويمثل تكوين العقل المستوى الأول للتأثير الجوهري الذي يمارسه النشاط الثقافي على العملية التنموية بمجملها في صلتها بالانسان.

إن صياغة وعي الإنسان، أي التأثير على قناعاته وسلوكه تجاه الواقع، وتشكيل توجهاته وتحويرها وفق أهداف الخطة المرسومة حتى يصبح كل نشاطه موجها لخدمتها، هو أمر حاسم دون شك. ومعلوم أن التنمية هي << عملية حضارية لكونها تشمل مختلف أوجه النشاط في المجتمع بما يحقق رفاه الإنسان وكرامته، وهي أيضا بناء للإنسان وتمرين له وتطوير لكفاءاته وإطلاق لقدراته للعمل البناء، وهي أخيرا اكتشاف لموارد المجتمع وتنميتها، والإستخدام الأمثل لها من اجل بناء الطاقة الانتاجية القادرة على العطاء المستمر».(6).

التنمية إذن في نهاية المطاف وفق أغلب التعريفات هي التوجيه الأمثل لسلوك الإنسان للوصول إلى غايات متصورة مسبقا من أجل خير الإنسان. وليس من بديل للثقافة لتحقيق هذه الغاية، إذ الثقافة نسغ ترتوي به الروح وتنشط به الملكات وتنتعش المشاعر والعواطف، ومن ثم يغدو الإنسان عجينة أولية قابلة للتشكيل من جديد وثمة مستوى ثاني. هو خطوة سابقة على المستوى الأول، يدخل ضمن الشروط الممهدة لتحققه. إنه إضاءة الواقع بكل أبعاده وتشريح التفاصيل الدقيقة داخل كل حقل من حقوله حتى يتضح الصالح من الطالح، ويتم تحديد الاختيارات في ظل شروط مؤاتية كليا للحكم الموضوعي. وهذه مهمة تلك الثقافة أن تنهض بها بجدارة.

والحق أن الثقافة عنصر أساسي بل أولي في أي خطة تنموية جادة، غير أنها – في بعض الأحيان تعجز عن تأدية رسالتها. ففي ظل الأنظمة الاستثنائية في ظل عهود القهر والسيطرة المطلقة تغدو الثقافة صوت حزب أو فئة أو قبيلة، تغدو صوتا وحيد البعد وحيد الصدى، لا يفعل أكثر من إعادة خلق منتجه بشكل مشوه.. لاتزهر

المحور الثقافي

الثقافة ولا تورق ولا ينتشر أريجها الزكي على الحياة إلا في ظل الحرية، في ظل الديمقراطية، في ظل الوضعية التي يكون متاحا فيها للجميع أن يعبر عن رأيه، وأن يساهم بكل مسؤولية في تقويم ما يجري.

وإذا كانت الديمقراطية كمناخ ، كهواء يتنفسه الناس، ضرورية لتحقق الثقافة رسالتها العظيمة، فالديمقراطية ضرورية كذلك ليصبح التفكير الجدي في الخطط التنموية ممكنا. إنها حلقات ثلاث (الثقافة – الديمقراطية– التنمية) لا تستقيم الأمور بدون تشابكها جميعا. ومع ذلك – وهذا أمر بديهي بطبيعة الحال– تبقى لكل بيئة ثقافية ولكل محيط اقتصادي ولكل نمط من النظم السياسية ثقافته وديمقراطيته وتنميته التي تنسجم مع خصائصه ومميزاته وتعكس حقائقه العميقة الناظمة لبنيته.

وبالنسبة لنا فقد غدا ممكنا أن تؤدي الثقافة رسالتها بعد أن طوى الزمن العهود الاستثنائية، وغدت التنمية الشاملة أولوية الأولويات. في ظل هذه الأوضاع المؤاتية تقرر أن تنطلق عملية تنفيذ تجربة المعارض المتخصصة التي يطمح المتحف من خلالها إلى التأكيد على حضور الماضي في الحاضر للإسهام في التخطيط للمستقبل، انطلاقا من الإيمان بأن التراث الوطني – وهو مكون أساسي في الثقافة الموريتانية– لا يمكن أن يبقى " كنوزا مقدسة" دفينة مخازن المتاحف"وواجهات العرض فيها بعيدا عن الحياة اليومية للإنسان لابد أن تكسر هذه السجون وتخرج إلى الناس لتدخل معهم في حواراتهم اليومية، وهم يعبرون جسور التحول الحثيث، لايدرون ما يأخذون معهم من الأمتعة – البضاعة – الزاد، ولا مايدعون .. لابد ان تكون طرفا في أزمتهم وتقترح عليهم شيئا من رباطة الجأش في مواجهة الصراع الحاد الذي يمور به الواقع، من خلال تقديم أساليب من منازلة الأسلاف للمشاكل التي واجهتهم، وصراعهم مع واقعهم.

إنّ الإشكالية الكبرى ليست في أن نتحاور مع بعضنا الإشكالية الحقيقية أن هذا الحوار يجب أن نديره مع أسلافنا الغابرين، أن نحاور منجزاتهم وعقلياتهم وأفكارهم التي مازالت سارية في دمائنا، توجهنا في خطواتنا نحو المستقبل.يجب أن تتحاور الأصقاع والحقب داخل ذواتنا يجب أن نتحاور مع "الآخر".لا يجوز أن نلغي " الآخر" الذي نرتوي وإياه من النهر الحضاري الزاخر عينه. كما أنه لا يجوز من جهة

أخرى – أن تصل درجة اندهاشنا لروعة منجزاتنا الراهنة ولا لانتصارات الأسلاف، ولا لمكاسب " الآخر" المغاير إلى حد أن تعطل طاقتنا على الابداع والخلق.

وهكذا تقوم تجربة المعارض المتخصصة على محاولة تقديم درس صامت في هذا الشأن ، من خلال جولة يقوم بها المتحف إلى مختلف أوجه الحياة الوطنية (الصحة، الزراعة، المياه، التربية...) للدخول في صلات وطيدة مع أغلب القطاعات القائمة على العملية التنموية. ومن خلال هذه المبادرة المتحفية ستكون الثقافة الوطنية قد أنجزت تجربة رائدة في سبيل تحقيق جملة من الأهداف سبقت الإشارة إلى طرف منها في مطلع الحديث.

إنها تجربة مغرية دون شك من خلال تنوع الشركاء الذين سيدخل المتحف في صلات معهم في كل معرض، من خلال تنوع الجمهور الذي سيجتذبه كل معرض بفضل عاملين اثنين:

الأول: البعد التراثي الذي تمثله المعروضات.

الثاني: الطاولة المستديرة التي تمثل امتداد البعد التراثي في الحياة الراهنة.

وهكذا سيبدأ – بفضل احتكاك هذين العاملين – الحوار الذي يؤمل أن يخرج بنتائج بالغة الحيوية، ستشكل إسهاما في الدفع بالقطاع الذي يتعاون معه المتحف قدما من أجل تحقيق رسالته.

ومن الامور البالغة الأهمية أن كل معرض سيترك للمكتبة الموريتانية مرجعا مبتكرا في ميدانه، هو حصيلة البحوث المقدمة في الطاولة المستديرة، إضافة إلى عدد من الوثائق المهمة الأخرى من بينها فهرس للمعروضات بالصور الملونة.

وقد وقع الاختيار على أن تبدأ التجربة بمعرض التراث الطبي الموريتاني الذي نظم تحت شعار : « الصيدلية التقليدية الموجب والسالب» في الفترة من 13–28 فبراير 1996 في قاعة المعارض في المتحف الوطني (دار الثقافة)، وقد دعي للمشاركة فيه:

1–أطباء تقليديون هم : النينه ولد المقري – عبد الله ولد أوفى– محمد المامي ولد آجه – محمد يسلم ولد المقري– بدي ولد أحمذيه

المحور الثقافي

2- أطباء عصريون:

أ- من وزارة الصحة والشؤون الاجتماعية:

د. عبد الله ولد الناجي : المركز الوطني للوقاية.د. أحمد ولد البراء صيدلاني.

ب- من منظمات دولية:

د. بشير ولد أونن: صندوق الأمم المتحدة للطفولة.

3- باحثون اجتماعيون:

د.محمد الأمين ولد سلمان : منظمة الصحة العالمية.

محمد ولد حمياده :الجمعية الموريتانية لترقية الأسرة.

وقد ازدانت قاعة المعارض بما يقارب ثلاث مائة مادة دوائية أغلبها مستمد من مصادر موريتانية مثل الأعشاب والأخلاط الكيمياوية وغيرها.

وقد صمم المعرض على أساس أن يحقق جملة من الأهداف منها:

أ- أهداف تتعلق بقطاع الثقافة :الإسهام في توسيع دائرة المقتنعين بالوظيفة الحيوية للنشاط الثقافي، وصلته المباشرة بالجوانب التنموية المعيشة.

-إغناء المقتنيات المتحفية في حقل التراث الطبي باكتشاف النقص الحاصل فيها ومحاولة سده.

-إنجاز خطوة هامة في التعريف بالتراث الطبي المتحفي من خلال اجتذاب سلك مهني ظل مقطوع الصلة بالمتاحف (قطاع الصحة) وجعل أفراده يحتكون بهذا المجال، ويكتشفون أنهم طرف معني وأن أجدادهم كانوا يقدمون إسهاما عظيما في حقل المهنة التي اختار هؤلاء الاطباء العصريون خدمة مجتمعهم من خلالها.

ب) أهداف تهم قطاع الصحة:

-غربلة الممارسة الطبية التقليدية وخلق حوار مبني على التفاهم بين الطرفين الأصلي والعصري.

-إصدار كتاب حول الطب التقليدي يسهم في دراسة مشاكله والتعريف به.

-إستثمار الكتاب المذكور أعلاه وغيره من الوثائق التي ستصدر عن الطاولة المستديرة من أجل تطوير الطب التقليدي وضبطه وتقنينه ومراقبته.

المحور الثقافي

جـ- يحقق الأطباء الأهداف التالية:

× التقليديون : يشعرون أنهم مغبونون وأن جهدهم الإنساني العظيم لا يحظى بالتقدير اللازم، وأن نظاما للتداوي مستوردا ومكلفا وليس ضروريا يجني عليهم. سيجد هؤلاء الفرصة من خلال الطاولة المستديرة للتعبير عن آرائهم والمناقشة بكل حرية.

× العصريون: يعتقدون أنه لا يوجد طب تقليدي وطب حديث هناك طب واحد ووحيد هو هذا الذي يمارسونه هم وحدهم. ويرغب بعضهم في إفهام التقليديين أنهم جزء من الماضي فحسب، وأن حضورهم في الراهن غير مشروع.

وقد قدمت أثناء جلسات الطاولة المستديرة عروض متنوعة دارت حولها مناقشات ساخنة، قادت إلى نتائج بالغة الأهمية، بفضل حنكة وقدرة الدكتور محمد سالم ولد زين المستشار الفني لوزير الصحة والشؤون الاجتماعية الذي تكرم بالاشراف على الطاولة المستديرة وإدارة الحوار.

وهكذا مثل معرض التراث الطبي الموريتاني الحلقة الأولى في سلسلة المعارض المتخصصة التي هي تجربة رائدة بحق، وكانت من بين المناسبات المتميزة النادرة التي يشترك فيها قطاعا الصحة والثقافة في عمل تنموي بالغ الحيوية يهمهما معا.وربما كانت الطريقة المثلى للحكم على هذا المعرض هي الاطلاع على نماذج متنوعة من انطباعات فئات مختلفة من زوار المعرض.ونكتفي باقتطاف الامثلة التالية:

○ كنت سعيدا لمشاهدة هذا المعرض المنظم حول الصيدلية التقليدية، وآمل أن تتكرر مثل هذه المبادرات حتى ينتعش المتحف الوطني الذي هو ذاكرة الشعب الموريتاني.

أوليفي دغريف الممثل المقيم لصندوق الأمم المتحدة للطفولة.

○ مبادرة جيدة تضمن ربط الصلة بالتراث وطاولة مستديرة ناجحة استطاعت مد جسور التواصل بين الطب التقليدي والطب الحديث من خلال حوار مثمر وبناء لكن هل باستطاعة الطب التقليدي أن يستمر من هنا وحتى عشر سنوات؟

المحور الثقافي

يونس زغلامي الممثل المقيم لصندوق الأمم المتحدة للسكان.

○ معـــــــرض طالما انـــــتظرناه فهـــو يبرز عبقرية علمائنا وعلومهم العزيزة. فهنيئا لأصحاب المبادرة، وعسى أن يتمكنوا من تكرارها.

التاه ولد محمد باب : رئيس مستوصف الهيئة الخيرية لدولة الامارات العربية المتحدة.

○ نال اعـجابي هذا المعـرض الفـريد من نـوعه لأنني مـن أنصار طـب الاعشاب لخلوه من المواد الكيمياوية الضارة. محمد عبد الله ولد عبد الكريم :

مهندس في الطيران المدني.

○ إن هذا المعرض يعتبر ذخرا لبلادنا، ويحتوي الكثير من المعلومات المفيدة المثيرة التي يستطيع أن يستعين بها الطلاب في هذا المجال، كما أنه يبين أصالة التداوي وتقدم الشعب الموريتاني في الطب الذي هو جزء من الطب العربي بشكل عام.

محمد ولد حامد : مهندس زراعي.

○ دهشت لتنوع هذه المواد وأساليب العلاج وأدواته ومواده، وهو فخر لنا ويجب علينا مساعدة القائمين عليه، وهذه التظاهرة هي أفضل وسيلة لذلك.

حد أمين ولد سادي : مراسل وكالة الانباء الفرنسية في موريتانيا.

○ مما لا شك فيه أن هذا المعرض الأول من نوعه في هذه البلاد مهم جدا، ولاشك أن الجميع في حاجة ماسة إليه ونحن نشكر فخامة الرئيس معاوية ولد سيد احمد الطايع ووزارة الثقافة ووزارة الصحة على تنظيمه، فهو معرض مهم وفيه من التعارف وتبادل المعلومات ما لايخفى على أحد.

أواه ولد ابراهيم إمام جامع

○ لقد بهرتني جودة تنظيم المعرض وكثرة وتنوع المعروضات، واقتنعت تماما بأهمية رعاية معارفنا الأصلية وتطويرها ورفدها بالامكانات وصقلها من الخرافات وما لصق بها عبر دوامة العصور، وأثمن هذه المبادرة وأرجو ان تشفع بأخريات تضيق الهوة بين ممارسي الطب من تقليديين وعصريين .

الحسن ولد مولاي علي أستاذ أدب.

○ لقد بهرتني كثرة مستحضراتنا الطبية .. ولكن مع الاسف الموريتانيون لا يعطون عناية لتراثهم الطبي

السالمة بنت محمد الامين . تلميذة

شهادات:

تجربتي الروائية

الدكتور سهيل ادريس

لم أعط في الرواية كثيرا. خلال عشرة أعوام (1952–1962) كتبت ثلاث روايات. يرعبني الشعور أحيانا بأني لن أكتب بعد رواية. وتأخذني النقمة على الأدباء انهم صرفوني عن الكتابة لأهتم بما يكتبون. حين أتسلم من أجدهم مخطوطة، أفرح له وأحزن لنفسي. وقد يأخذني الحسد، وأندم أني لست أنانيا بما فيه الكفاية. كانت الأنانية تقتضيني أن أفعل كما يفعل آخرون: ألا ينشروا إلا إنتاجهم الرائج. ولكنني ألتمس العزاء بأني أشارك في إقامة بنيان ثقافتنا العتيدة، ولو بلبنات الآخرين. أعزي نفسي بذلك، ثم أحزن من جديد. وفي كل مرة، ينتهي بي الأمر إلى أني لا يحق لي أن أيأس. كتبت منذ سنوات قصة قصيرة بعنوان " التل والنورس" لا أزال أتعلق بها كخشبة إنقاذ. كانت في الأصل مشروع رواية. ثم خفت أن تصرفني الأحداث في لبنان عن أن أكتبها رواية، فجمعت خيوطها وركزتها، على أمل أن أعود إليها فأحل هذه الخيوط وأنشرها فوق الرمال نهبا للريح والشمس، من غير أن أتساءل إذا كانت الشروط الفنية تسمح بتحويل قصة قصيرة إلى رواية، حتى ولو كانت بالأصل مشروع رواية.

أكره الشروط، فنية أو غير فنية، يشرعها النقاد. لكل كاتب شروط يفرضها مزاجه وحساسيته، أعطني حساسية متفردة وأطح بكل نظريات النقاد.

لم أكتب ما كتبت تحت مسطرة المنظرين. أكره المنظرين وأحب المحللين. أحب هؤلاء لأنهم يأخذون ما أكتب، فيستخرجون منه ما لم أكن أعيه. يقرأون ما لم أكتب، بل ما أوحي به. كل ما يستطيعون أن يطلبوه مني أن أكون صادقا مع نفسي. فلأكن كذلك. ولتيدبروا هم بعد ذلك أمرهم مع النص. وليفاجؤوني بتحليلاتهم التي يرجعون فيها إلى جميع العلوم والفنون، فإذا بي الروائي الذاتي – الموضوعي في وقت واحد، الملتزم – الحر في وقت واحد، الواعي غير الواعي في وقت واحد.

أذهلني ما استخرج النقاد والدارسون – وهم يزيدون على العشرين– من روايتي " الحي اللاتيني". ولكن ما أرعبني حقا أن يمتشق بعضهم (رضوان الشهال وعيسى

الناعوري رحمهما الله)، على اختلاف في ايديولوجيتهما، سيف الأحكام القيمية ليدينا البطل ويصفاه بأنه سفيه خسيس ارتكب عملا لا أخلاقيا بتخليه عن الفتاة التي حملت منه، وخرجا من ذلك بأن المؤلف، مثل بطله ، سفيه خسيس.ولكن من حسن حظ بطل " الحي اللاتيني" أن قام عشرات من الدارسين يتعاطفون معه، محللين سلوكه بين الوقائع والأحداث ويربطونه بوضع الإنسان العربي المحروم المقموع، جنسيا وفكريا واجتماعيا، الذي يذهب ليلتمس الحرية في فترة من الاغتراب المؤقت، حتى إذا أشبع هذه الرغبة المقموعة والتي كانت تكبت معظم طاقاته الإنسانية والابداعية، بدأ يعي ذاته ويستكمل مختلف أبعادها، ويوظف طاقته في خدمة قومه الذين يعنود إليهم. لقد ارتكب هذا الإنسان كثيرا من الآثام والأخطاء، لأنه كان يعتقد أن الحرية بلا ثمن. ولكنه حين أراد التكفير عن خطأه، أثبت أنه اصبح يعي مسؤوليته، وأنه مدعو لتوظيفها في خدمة قضاياه المصيرية. وهذا ما تعبر عنه العبارة الأخيرة في الرواية، حين تسأل أم البطل ابنها: " هل انتهينا يابني؟ فيجيبها: " بل الآن نبدأ يا أمي".كنت أعرف، من غير أن يعلمني الدارسون، أني معني في رواياتي بفكرة محورية هي" الصراع" لأني، بصفتي إنسانا عربيا، أعيش هذا الصراع في كل لحظة من الحياة. وحضور هذا الصراع المحوري يدل على أن ما قد يعتبره البعض من أن رواياتي الثلاث يمكن وصفها بأنها سيرة ذاتية مروية Autobiographe romancée وظف لطرح قضية عامة ولو كانت تتخذ اللهجة الذاتية. وقد وصفت " الحي اللاتيني" بأنها صراع الشرق والغرب في وجدان إنسان عربي يعيش تمزقا اجتماعيا وحضاريا. ووصفت " الخندق الفميق" بأنها صراع جيلين في أسرة واحدة، يقوم فيها الأب والأخ الأكبر بدور القوة الرجعية المعوقة التي تتمحور على النفاق والتناقضات والهموم الصغيرة، بينما يقوم الابن الثاني وشقيقته بدور القوة المتطورة التي تسعى إلى التغيير. أما " أصابعنا التي تحترق" فتصور في رأي الدارسين صراع مثقف عربي من أجل الحفاظ على استقلاليته وحريته وكرامته في جو مليء بالعوامل التي تغري بالانحراف.وقد طمحت ذات يوم، عند إعلان ميلاد المقاومة الفلسطينية المسلحة، الى تجنيد الصراع الكبير الذي نخوضه في الوطن العربي لاسترداد الحق المسلوب وكان أول عمل ينبغي أن أقوم به، هو أن أدرس تاريخ فلسطين، فعكفت على مراجعة المصادر وقراءة المراجع لتكوين الخلفية التاريخية لرواية كبيرة، ربما كانت ثلاثية أو رباعية، تتناول حياة ثلاثة أجيال عبر أسرة فلسطينية واحدة. وكنت على يقين من أن هذه " الرواية الفلسطينية" ستكون على نحو ما، " الرواية العربية" لتداخل تاريخ فلسطين بتاريخ العرب الحديث، بل إن التاريخ الفلسطيني، منذ عام 1948 خاصة، أصبح التاريخ العربي بعناوينه الكبرى.

يتواصل

شهادات

د. هيبتنا ولد سيدي هيبه:

أنا والطفولة واللغات

أجرت صحيفة البلاد، أقدم جريدة سعودية مقابلة موسعة مع الاديب والناقد، سعادة السفير الموريتاني في المملكة العربية السعودية هيبتنا ولد سيدي هيبه، حول مختلف الجوانب التي تهم القارئ العربي عن موريتانيا وعن شخص الاستاذ هيبتنا.

ونقدم للقارئ مقاطع من هذه المقابلة الهامة، وهي مقاطع تهم القارئ المثقف، وتتعلق بموقف الانسان عموما من اللغة، لغته الام ولغة ثقافته، كما يتحدث الناقد والكاتب هيبتنا في مقطع آخر عن مكونات الشخصية الموريتانية بدقته ومنهجيته المعهودة فيقدمه في وجدانه، بابعاده الطبيعية والاخلاقية والعقلية، وصفات التميز، التي تميزه. وفي مقطع ثالث يناقش القاعدة الخلدونية، عن جهل البدو ليثبت الاستثناء الشنقيطي من هذه القاعدة.

وإليكم هذه المقاطع بعرضها الدقيق ولغتها الرائعة :

تحت عنوان : أقرب اللغات

تسأل المجلة:

أنت تتحدث العربية، والانجليزية، والفرنسية، فما هي اقرب اللغات الى نفسك عند المخاطبة. ولماذا؟

– أقصى فورا اللغة الانجليزية لتبقى المنافسة على أشدها بين العربية والفرنسية وذلك راجع لضعف إمساكي بناصية لغة شكسبير، ولرسوخي النسبي في الاخريين نظريا ووجدانيا واخلاقيا. إن صح التعبير. اللغة العربية أقرب الى نفسي لأني رضعتها، ورو يها ونسيمها وعبيرها وضوء شمسها وموج بحر ليلها وجرس موسيقاها وطعم وألوان زهور وماء بساتينها. كل شيء منها وفيها، يجري في عروقي، يطربني، يعذبني، يجذلني، يبهرني، يؤرقني فلا خيار بينها وبين ماسواها، من هذه الزاوية.

– تحضرني في هذا السياق مقولة البيركامي الشهيرة، حينما اندلعت حرب التحرير الجزائرية ووجد الروائي الفرنسي نفسه آنذاك مضطرا لاتخاذ موقف صعب وحرج: إما تأييد ثورة ابناء ارض منشئة وصباه وحياته، أو تأكيد

انتمائه الى الوطن الام وربط مصيرة بمصيره، فقال: " بين العدالة وأمي اختار أمي". إنه فضل فرنسا وماترمز إليه بالنسبة له من أرض، وحضارة، وقيم، .ولغة، على عدالة وشرعية كفاح التحرير الجزائري. ولقد أثارت هذه المقولة ضجة وجدلا كبيرين في الاوساط الادبية والسياسية، ولكنها - مهما كان الأمر- تعبر بعمق ذ، بغض النظر عن الاعتبارات والظروف الخاصة المحيطة بها، عن مسألة جوهرية من الصعب حسما بصورة مثالية ومنطقية ونهائية.. استطردت الحديث عن هذه المسألة لأن العلاقة باللغة تتعدى مجرد المخاطبة إلى أبعاد وأغوار أخرى اكثر تعقيدا وحساسية وخطورة اللغة الفرنسية، وهي طرف المعادلة اللغوية بالنسبة لي، اصبحت بحكم الواقع وصدف التاريخ تكاد تحتل نفس المرتبة ونفس الارتباط العضوي الذي يشدني إلى اللغة العربية مخاطبة وتفكيرا ومعايشة لتجارب الحياة المختلفة

- وكيف يكون الموضع مختلفا، وأنا الذي تمرست على المخاطبة والكتابة والقراءة بهذه اللغة عبر كل مراحل التعليم حتى انتهى بي المطاف في مدرجات واجواء وانوار جامعة السربون معقل الثقافة الفرنسية الخالدة؟ في الواقع لم اشعر يوما من الايام باية عقدة تجاه ماكان يعتبر لغة المستعمر واصبحت الفرنسية مصدر اثراء لي وعنصرا من ثقافة متعددة المشارب، اجد فيها من السهولة والفائدة والمتعة ما تجود علي به اللغة العربية، مصدرا متعدد المنابع والروافد والروائع. وكما قال بعضهم بصدق فإن اللغة - اية لغة- هي وطن الكاتب والمثقف الحقيقي، وليس رقعة الارض الضيقة التي ينتمي إليها. ولنا في تاريخ الثقافة العربية أمثلة شهيرة شاهدة على ذلك.

2- وتحت عنوان : الاعتزاز بالنفس:

سالت المجلة:الكثير منا لا يعرف الشخصية الموريتانية عن قرب فبماذا تتميز؟

- يقول الفرنسيون الذين احتكوا بالموريتانيين - وهم صائبون - أن الموريتاني يتميز بشهامته، باعتزازه بنفسه النابع من وعيه العميق باصالة ثقافته العربية الاسلامية وجمال وعظمة بيئته الصحراوية. فكل الرحالة والكتاب الاداريين والضباط الذين زاروا موريتانيا او عملوا فيها، انبهروا بهذه الظاهرة واضطروا الى تمقليد الموريتانيين في نمط حياتهم، لا العكس، كي يتفاهموا معهم، وألفوا

الكتب الكبيرة في الادب والموسيقى لمسوا فيها تفوق العبقرية الموريتانية، فالروائي سنت اكسبيري سمى موريتانيا " أرض الرجال" وهو عنوان واحد من اشهر روايته. قد يقول البعض ان هذا الجواب غير دبلوماسي وأنا أعتبره دبلوماسيا لأنه يقول الحقيقة كما هي، ببرودة أعصاب متناهية.

– الميزة الثانية للشخصية الموريتانية كرم الضيافة، الذي يعتبره المجتمع مقدسا وفطريا لا يجوز الاخلال به تحت أية طائلة، وفي هذا المقصد يقول محمد ولد الطلبه اليعقوبي:

وراع حقوق الضيف واجلا إنه
لعمرك أوصى ان يبر ويكرما

– الميزة الأولى الي استرعت انتباهي لدة الشخصية الموريتانية تتمثل في فصاحة اللغة العربية عند الموريتانيين نطقا وشعرا وفقها ونحوا. ولعل عامل البيئة الصحروية واصالة الجذور والنهج التعليمي التقليدي اهم العناصر التي تفسر هذه الظاهرة الفردية

ولاشيء يثير حفظية الموريتاني وانفعاله اكثر من الاشياء التي يكتبها احيانا بعض الاقلام الهاشمية عن موريتانيا – وعروبتها– ولكن سرعان ما يهدأ خاطره عندما يدرك ان ذلك نابع من جهل الاخرين وعدم اطلاعهم وقصورهم.

البلاد : ماهي المدينة التي تفضلها لقضاء الاجازة؟

هيبتنا: باريس لأنها حقيقة ومجازا، مدينة الانوار والترف الحضاري بكل اشكاله، لا يمكن لاحد مهما طال تردده عليها ان يستنفذ كنوزها وروائعها.

3- بساطة الحياة البادية:

مرحلة الطفولة لها وقع خاص لدى أي انسان، ماذا تتذكر منها؟*– اتذكر وداعة وبساطة الحياة في البادية الموريتانية، وانسجام الانسان مع الطبيعة والتوازن العميق داخل المجتمع نفسه، ولم يكن هذا الانسجام متعارضا مع نوع من الترف الثقافي والفكري المتجلي في المناظرات الادبية والفقهية والصراعات القبلية والسياسية، لأن المجتمع الموريتاني البدوي التقليدي كان مجتمعا متعلما يجل العلم والادب عكسا للقاعدة الخلدونية التي تقرن البداوة بالجهل والفوضى. لا شك أن اطفال هذه الحقبة كانوا اقل مشاكل وربما اكثر سعادة من اطفال اليوم الذين يواجهون عالما خطيرا ومعقدا وقلقا على مستقبله، هذا لا يعني أني ارفض التقدم الحقيق أو أبكي على اطلال زمن بائد وبائس ماديا، بل اعبر عن الحيرة والقلق والاضطراب الذي ينتاب انسان نهاية هذا القرن، ولا يلوح في الافق اي شيء من شأنه تهدئته او الافلات من قبضته، وبالتالي تبقى ذكريات الطفولة والصبا ملاذ جميلا وهادئا يشبه الى حد ما، نوعا من الفردوس المفقود

◆

التغني بالمكان في شعر الشيخ سيري محمد بن الشيخ سيري.

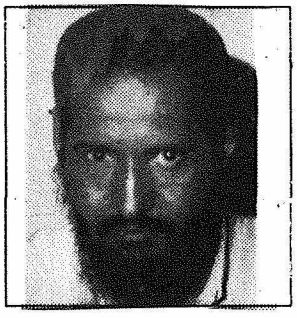

أ محمد محمود ولد الزبير
المعهد الموريتاني للبحث العلمي

*أن تلمح هذه العجالة علي أهمية ظاهرة وجودية-تمس كل إنسان-تكون قد أدت ما عليها، مع أن صاحبها لا يطمح إلى أن يقدم أكثر من إثارة موضوع"ظاهرة التغني بالمكان في شعر الشيخ سيدي محمد ولد الشيخ سيدي".

وشاعرنا ماهو إلا من قومه وبني جلدته،فالإنسان مرتبط بالمكان إرتباطه بالحياة،ففي المكان ولد وعليه ترعرع وتربي،وأشتد عوده،فطارد الوحوش ورعي المواشي،وترصد مواطن الغيث وتعقب منابت الكلإ وكانت الارض الملهمة الاولي التي فجرت ينابيع الشعر علي ألسنة الشعراء فكان التعلق بالمحيط الجغرافي تعلقا بالذات وولاء للمألوف وحنينا إلى الأصل وشاعرنا سار علي النهج واستجاب لداعي الفطرة فتغني بأرضه.وبثها شجونه وتمني لها السقيا والانبات واسلمها انقياده طواعية ورضا

وسنقارب النص علي مستويين:

_مستوي أول يكون فيه المكان غرضا مقصودا لذاته محاورا بوطن ثان حال الغربة مفضلا بكل مافيه علي اي مكان متأبيا عن اي مفاضلة مغنى به مرجعا لحظات المسرة والانس

_مستوى ثان يأتى فيه المكان عرضا فى بداية كل قصيدة احتذاء بتقليد تواطأ عليه الشعراء وطبيعة البدوي التي تفرض عليه مغادرة مكانه واستبداله بآخر نوعت أمكنة القوم فاتسعت لذلك خريطة الشاعر الجغرافية وتشعبت همومه وتفرقت ايامه فكل دار حل بها صارت وطنا وكل معهد هجره اصبح ملهما مسكونا بايامه ولياليه ونجاده ووهاده

وقراءة هذه النصوص تشي بالفة الشاعر لبعض الامكنة دون الاخري فتكون له وطنا يشتاق اليه ويلزمه في ايام المحل فلا يغادره متغاضيا عن الجدب مزورا عن الاماكن الخصيبة في غير مكانه الوطن فيواجه موقفا يدعزه الي اختيارين احلاهما مر وهما هجر البئر التي ألفها وألفته،وهي تعاني خرابا محتوما لم يكن له من سبيل لتفاديه،أوالنزوح عنها إلي مكان آخر

لعمرك ما ترتاب ميمونة السعدى
بأناتركنا السعي في أمرها عمدا
سوي أننا كنا عبيد مشيئة
ولا عار في أن يعجز السيد العبدا
وليس علينا أن يساعدنا القضا
ولكن علينا أننا نبذل الجهدا
حبسنا عليها وهي جدب سوامنا
فما صدنا السعدان عنها ولاصدا
ويظعن عنها الناس حال انتجاعهم
ولم ننتجع برقا يلوح ولارعدا

وإذ غدرت مانفـــض من كان حولها

وفينا فلم نغدر ولم نخلف الوعــــــدا

فهذه البئر (ميمونة السعدي)"تامر زكيت" وهي من أسماء الأمكنة المترجمة عن الصنهاجية، ألفها الشاعر إلى حد التماهي،فصارت بالنسبة له الصديق والحبيب المستطاب الود،يعز عليه أن يخون العهود ويستبدلها بغيرها،معتذرا عن نفسه بارجاع الأمر إلي مدبره.والمتصرف فيه(علي أننا والأمر عنا مغيب و لله ما أخفي و لله ما أبدي)

وأحيانا يكون وطن الشاعر نائيا عندما تدعوه الظروف السياسية إلى الإغتراب في بعض مهام البلد،فتنداح شطحات الذكريات داخل اللاوعي فتحفر في ذاكرته آثار عقد أو عقود من عمره قد خلت متناثرة بين هذه الربوع وتلك،فيحن إلي أرضه بشمولية ويبكيها من غير إفراد لوطنه القومي"فهذا كله قبر مالك"،يبثها شجونه ويبكي هواءها العليل ومنا بتها الفواحة،مقارنا لها بأرض الغربة.ويطوح به الإغتراب فيفكر تفكير أي مغترب وينسي أنه موفد رسمي في مهمة إنسانية لايصطفي لها غير أمثاله،فيتمني ويرجو أن يجد فرصة للعودة إلي وطنه القومي المحدود بمعالم(آوكار)

طال في أربع القرار قرار

ليت شعري مالي وما للقرار

طال مكثي وإنما طال فيها

باختيار المليك لا باختيار

*لم أكن مزمع القدوم إليها

بل رمتني بهايد الاقدار

سنم القلب بردها ونداهـــا

وخــلاها البليل بالأسحار

وكـداها وقاعها وصفاهــا

وحصاها وما حوى من غبار

هل يسني لنا جديس الليـالي

عــوض من عودة إلي أوكار

تلك أرضي التي أحب وأهوي

وهي حقــا منازل الأحرار

لابــلاد مياهها حمجرير

منبتات طعام أهــل النار

ولم تنته سفارات الشاعر هنا فهو جوالة كثير الأسفار من غير تتبع لأثر الطياش ولاطلب للمعاش[1]،وإنما مركزه الإجتماعي داع لذلك،وعند كل غربة يلجأ للمقارنة ليعيش-علي الأقل-فترة التذكر في مكانه الوطن.

ياليـلة بتـها بـين القـناطير

جري علي بها صرف المقادير

وليلة أختهــا قــد بت ثانيـة

بشاطئ البحر في حي المناصير

لمرتمي الموج في حافاتـهم لجب

هزم الرعود تزجى بالأعاصير

ماأقدر ا لله أن يدني علي شحط

من باليامين ممن بالقناطير

وتتحدد خريطة الشاعر الجغرافية بتعداد مكوناتها-وإن كان يألف بعضها أكثر من غيره-ففي هذه القصيدة يرتحل الشاعر مع البرق متبعا ومضاته يرودله الأمكنة بعد أن قضي لآخرين حاجهم من السقيا،وعندها يلجأ الشاعرإلى الاحصاء، ففليس ثمة مكان يغني ذكره عن ذكر غيره – لابد من ترصيع هذا الغناء الشجي بأسماء هذه المعاهد المشتاقة :

---

[1] (بر

فلاح له جرك فذو الطيس فالنقي
نقا الفار فالبيران فالكن الأبيض
فحقف بني الميمون أفعم غوطه
بها وبمغناها البوارق تومض
فقلت له خيم فتلك معاهد
عليك بها التخييم يابرق يفرض
ومر علي ذي المور يهمي كأنه
حوافر خيل بالجداجد تركض
فبينا علي أوكار يفري مزاده
ملثا إذا فاي له متعرض
فألقت به أثقالها المزن وانتحت
فهي إلى أرض التماشين نهض
إلي الأيمل الأدني إلي الأيمل الذي
دوين مطليش نحت وهي مخض
فتاقت على خط النشير بحالها
وناءت عن الأبصار والبرق مومض

فهذه خريطة الوطن القومي والأليف بالنسبة للشاعر فهو يبدأ ملازمة البرق ويسرح به خياله معددا كل هذه الأمكنة المتناثرة في رأي العين المتجمعة المؤلفة في ذهن الشاعر، فهي عنده فردوس مفقود وجنة ضائعة وعداها من المواطن نأي وغربة وتبار.

ولاغرابة في تعلق الشاعر بهذه الأمكنة فهي موطنه الذي ألفه ونشأ فيه،وفيه تكون وعيه وإدراكه للأشياء ،فمعالم هذه الأرض مؤثة عبقرية الشاعر فقد يدرك في لحظة من لحظات إبداعه تفسيرا لحزنه،فيودع عند كل دار قطعة من أغلي ما يملك،فعمره مقسم بين هذه الديار يوم بهذه الدار وليلة بتلك وساعة عند حي يتذكرهم،ولحظات عند من نسي،فهي ساعات أطرت كل حياة الشاعر.

خليلي هل أحري بفيض المدامع
من الأربع اللائي بكن المزارع
أريقا بها ماء الشؤون وخليا
عزاليه مابين هام وهامع
أليس بغدر صوننا عبراتنا
عن السح والتذراف بين المرابع
فرعي الفتي عهد المرابع آية
علي أنه يرعي عهود الروابع
فما ضيعة الأطلال نبكي وإنما
نؤبن من أعمارنا كل ضائع
واحر بأن يبك الفتي فوت نفسه
لطلعة ناع في المفارق طالع

هذا الشعور المأساوي بقصور الإنسان عن إدراك مبتغاه وعدم إشراكه في اختيارالنهاية الحتمية لهذا المصير،إنها لحظات الأسى العميق والوجع الساكن بين الضلوع – لحظات لا يملك الشاعر في مواجهتها إلا أن يتجرع الضعف والوهن.. إنه منكسر الخاطرمهيض الجناح.. لقد أقفر الوجود من الأماني البيض وبشائر التفاؤل، وحلت محل كل ذلك مواكب من الثنائيات المحزنة..

ومن القصائد المتمحضة لذكر الأرض والدعوة لها بالسقيا والري والأعمار المادي من النبات والحيوان،والإعمار المعنوي بالدعوة لمدارسها بالإستمرار،ومداومة تدارس العلوم بمختلف موادها وتعدد مستوياتها.

علي دوران آوكار التحايا
تواصل بالغدايا والعشايا

إلي تـل الحبـاري فنجـد نصـف
إلي جـرعاوي الارطي ففايا
فبيضـاء التماشـن فـالروابي
روابي التوأمات فذي السرايا
إلي هضـب السـيال فأيدمـات
معاهـد حبهن لنا سجايا

وفي بعض القصائد يذكر الشاعر أماكن من وطنه تقليدا لسنة الشعراء ونزوعا إلي التأصيل بتقليد أكمل القول في نظرهم-الشعر الجاهلي-ومن ساروا في فلكه من الشعراء،فيقدم لبعض القصائد بمقدمات طللية يذكر فيها أماكن من وطنه احتذاء وتقليدا للشعراء،كما يتجلي في مقدمة نونيته التي هي في مدح النبي صلي الله عليه وسلم والحنين إلي أرضه والشوق إلي رحابه والإعراض عما في هذه الدنيا من أنواع المسرات،وكذلك الحال في الرائية التي هي مصنفة عند النقاد في شعر الجهاد فتجد الشاعر عند استهلال مطالع هذه القصائد يعدد ديارا عهدها وربوعا ألف المقام بها وطاب له الأنس فيها.

أدمعـا تبقيان بغـرب عين
وقـد عاينتمـا دار الكنين
وقد حوت الميامن منـزلات
وربع بـني المبارك منزلين
ومغني حول ذات القـرم عاف
وآخـر دارس بالتيرسين
ودار حول حقف النصف أقوت
وأخـري أقفرت بالتوأمين

ومرة يفاخر بهذه الأماكن أوطانا لشعراء آخرين عرفوا بأماكن ألفوها وتغنوا بديارها.

معاهد عندنا في الحب فاقت
معاهد منذحج والرقمتين

وتأتي الرائية فيسير فيها علي سنن الشعراء في التقليد،فيذكر أكثر معالم آوكار وطن الرجل،ومع ذلك فهي غير مقصودة لذاتها،وإنما هو التقليد المتعارف.

رويدك إنني شبهت دارا
علي أمثالها تقف المهاري
تأمل صاح هاتيك الروابي
فذاك التل أحسبه أنارا

وهكذا يظهر المكان في شعر الشيخ سيدي محمد عنصرا دلاليا وأسلوبيا محملا بالمعاني والرموز، ينبئ عن اعتزاز الشاعر ومجتمعه بالرقعة الجغرافية التي يسكنها، والتي عليها يقيم تجربته الوجودية كائنا فرديا شارك المكان في توجيه رؤيته للإنسان والطبيعة، وكائنا اجتماعيا يسعى إلى الحفاظ على الحيز، ويحبه رغم قساوة الظروف أحيانا.

إنها رؤية تصدر عن واقع اجتماعي يمثل الوطن بالنسبة لذويه مكسبا حضاريا ووجوديا، لا يكون للإنسان أي قيمة، بل أي وجود إلا به وفيه.

صورة الجن في المخيلة الموريتانية (II)

يقلم الاستاذ محمد ولد احظانا
باحث جامعة انواكشوط

مساكن الجن:

رأينا في العرض السابق كيف تنقسم المساكن الجنية إلى نوعين حسبما تقرره المخيلة الشعبية الموريتانية- وهي مستوطنات خاصة بالجن. ومساكن للجن، متصفة بصفة المتروك، كالمقابر ومتعلقات الأموات، سواء كانت من البشر أم من الأحياء الأخرى. وسنمدد الحديث إلى ما تبقى من هذه المساكن المتصفة بصفة الإشتراك مع البشر.

- الأرمداء والفحم: يتوطن الجن حسب المخيلة الشعبية أي مكان أوقدت فيه نار الإنضاج، سواء كانت نار شي أو طبخ. أما نار الحريق، أو التفحيم، أو الترميد كإحراق الخشب للحصول على الفحم أو الرماد أو بحريق ذاتي فإنها ليست " مسكونة" غالبا، مع أن الفحمة الواحدة قد تتصف بصفة " السكنى".

وتروي حكايات كثيرة عن هذه المساكن، فتارة تتوطنها عجوز عمياء من الجن، وتارة تسكنها أسرة رقيقة الحال وتارة بها نفساء ورضيعها.. لذا يجب تجنبها والنأي عنها عند المرور بها، أو حط الرحال قربها، أو نصب الخيم فوقها:-

حكاية الضيف والأرمداء:-

قال الرواي فيما قال: سمعنا عند أوائلنا أن رجلا خرج يبحث عن بعض حوائجه طيلة النهار وفجأة ابتسم الليل عن نار حولها إمرأة تعالج عصيدة في قدر تمور. وإذا بحي تثغوا غنمه وتحن إبله ويخور بقره وتنبح كلابه وتنهق حميره. فسلم على المرأة، وردت له السلام. وسألته عن نفسه وأهله وكأنها تعرفه، ولما تفرس فيها على ضوء النار عرفها، وسألها عن الحي فردا فردا، وكانت تجيبه بما يناسب سؤاله دون تلكأ.

بعد السلام والمجاملة بسكت المرأة حصيرا أمام خبائها، وقدمت مذقا لضيفها الكريم من لبن يفضله قدما، وكانت تذود عنه الفصلان والخراف وهو مسترخ على الحصير، يسألها وتسأله، ويغفو غفوة الأرنب ويستيقظ على ذيل كلمة من كلماتها، فيجيبها على الظن، فتضحك وتسخر من شيخوخته المبكرة لكن يكابر إلى حين.

بعد وقت نضجت العصيدة، فأيقظت المرأة الرجل وألتهم عشاءه لذيذا لم يعهده وطلبت منه أن يدخل إلى الخباء، فمسح فمه بيده وفرك لمته ببقايا الطعام والإدام ودخل ونام ملء شدقيه إلى الصباح ولم يوقظه من هجوعه إلا شعاع الشمس، فإذا هو معفر ترابا وطعم الرماد ورائحته تفوحان من فمه ومناخيره، مضجعا في موقد نار دارس، بات يتقلب فيه يمينا وشمالا، أدار عينيه في الجهات الاربع فلم ير أثرا لكائن حي حوله، يسمل وانطلق مبتعدا وجلده يقشعر، قال الرواي: ورجعت أنا عن الدمن والخرائب معاقي مما أصابه.

وتعمر الجن الدمن والخرائب البشرية كلما هجرها الإنسان حسب المأثور الشعبي - من ذلك:-

حكاية الشابين والفحل:

قال الرواية: خرج شابان قويان جلدان تحت جنح الليل من حيهم، بعد أن كفنت الأوائي، وانتصف الليل، وانبث فيه النور الخفي، وكان يبغيان حيا آخر، يطلبان ما يطلبان.

وما كادت المسافة تنتصف تحت أقدامهما حتى خرج عليهما فحل تتدلى قصرته عندما يهدر فتكنس الأرض ، ويهم بإلتهام رأسيهما وأطرافهما، فهربا عنه إلى شجرة كثيفة الأغصان

شانكة، فلم يزل بها يحصدها بكفيه
حتى عراها من الأوراق والأغصان، فهربا عنها إلى أخرى ففعل بها مافعل بالأولى، وعيناه تقدحان
شررا فيرى الشابان ذلك الشرر يتطاير منهما، كشرر فحم الغضا.
ولما ينس الشابان من مخلص، وايقنا بالهلاك، وأوصى كل واحد منهما صاحبه على أهله وصية الميت، انبلج الصبح، وإذا الشابان على مرمى قوس من الحي الذي خرجا إليه وإذا بثيابهما ممزقة، والجراح عادا يتقفيا آثارهما فإذا هما يركضان وحدهما، ويندسان تحت الأغصان الشانكة وبين الجذوع الخشبية، ولم يلقيا أثرا لأي فحل أو غيره، وإذا هما قد اجتازا دمنا دارسة، وهي التي خرج عليهما الفحل منها. قالت الرواية وانتعلت أنا نعلي وعدت عنهما سالمة أحدث بحكايتهما.

حلاب الجن:-

قال الراوي:- ذات ضحوة كان أحد الرجال عائدا إلى حيث ترك مضارب حيه، بعد غياب شهر أو شهرين ولما أشرف على المنازل انشق له الأفق عن المضارب وسمع صياح الدواب وهياجها ولكنه لم ير رجلا في الحي، فتعجب وسأل. أخبرته النسوة والاطفال أن الرجال تغيبوا وأن الدواب هائجة لأنها لم تجد من يحلبها يومين وليلتين فأخذ قعبا واشعل نارا وسخنه عليها، وأطلق عجلا من ربقته على أمه، ولما درت البقرة شد رفيبة العجل إلى قائمتها وأخذ القعب ودسه بين فخذيه ونفض ضرع البقرة وكان الرجل يعلم في ذات نفسه أنه حلاب، وسيحلب هذه البقرة في هذا اليوم حليا ما سمع الناس بمثله زحف أقرب حتى شنف أنفه من رائحة الضرع وقال : بسم الله ولم يفق إلا وهو جالس جلسة الحلاب، وقد دس بين فخذيه شظية من قعب.فرك عينه وحملق حوله، فإذا الدمن خالية من أهلها منذ زمن طويل لا أثر لحي ولا ميت حواليه. كان اهله قد رحلوا بعده منذ شهر وضربوا مضاربهم في مرابع جديدة، وتركوا الأرض بلقعا لبدانلهم من الجن.
أكمل الرجل تعاويذه وهو في جلسته ونفذ على نفسع حتى أمن من الجنون وخرج ينشد أهله على جناحي طائر من الذهول.
قال الرواي:- وهذا حدها ومنتهاه.

- المذابح:

من المساكن المعهودة للجن في المخيلة الشعبية، المذابح، بما فيها من دم وفرث وعظام، وسنلقى في مطلع قصيدة من قصائد الجن الموريتانيين تغزلا وبكاء على طلل من هذه الأطلال عند الحديث عن أدب الجن

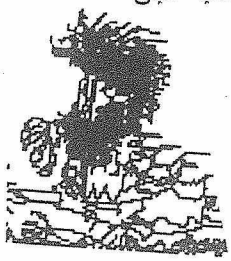

- المغارات:-

سواء كانت مغارات جبلية ... ها البشر منذ أقدم العصور، أو كانت مغارات برية للقطط، أو الكلاب المتوحشة، أو الذئاب.
وتدعى المغارات البرية خاصة بالحلة، وهي محلة لسباعها ووحوشها، لكنها مع ذلك مشحونة بمعنى السكن الجني. ويروي رواة الحكايات الشعبية كثيرا من الحكايات في هذا السياق:-

حكاية السحلية والفتاة المغرورة:-

قال الراوي:- سمعنا عند الأولين أن فتاة مدللة، خرجت مع صويحباتها يتنزهن على الربا المحيطة بحيهن، وكانت بينهن كالنهر المتدفق حيوية وطربا، تغني وتضحك وتشاكس، ولا تبالي أغضبت عليها هذه الصاحبة أم رضيت عنها تلك..
هبطت سحلية من على شجرة غضى وصرعها بطنها أرضا، فتأوهت ودورت راسها وحملقت خجلة، وساحبت على العشب وظهرها يكاد ينقصف، فالتفتت إليها الغادة اللعوب، وقالت لها:-
- ياصديقتي العزيزة إذا ضربك المخاض، وحانت ساعة وضعك فابعثي لي أولدك.
ضحكت الفتيات حتى دمعت أعينهن، وكادت أزواجهن تفيض، وتفرست السحلية في وجه القابلة حتى وعت تقاسيمه، واختفت.
انصرفت الفتيات إلى أهلهن، وتواعدن قاعة الطبل والغناء، وتحدثن وحدثن الفتيان بضحك الفتاة على السحلية، فاستمالت بطرافتها كل الفتيان.
لكن، نام الناس كما ينامون كل ليلة، وهدأت حركة الدواب، وفي الساعة الوسطى من الليل، بينما الفتاة الضحوك نائمة تحلم بأنها تسبح في غلالة من الحرير، إذ غمزها إبهام في مفرق

راسها، استيقظت كأنها لم تنم في حياتها كان واقفا على رأسها رجل مديد القامة يركب على قط مسروج، قال لها بلهجة حازمة لا تقاوم: اركبي خلفي فصديقتك "الكيدورة" قد ضربها المخاض. ركبت خلفه على كفل القط، وتوغل بهم سريعا في مغارة، وإذا هي بخيام مرفوعة في السماء على غير عمد، وإذا نسوة وعجائز يتجمعن حول إحداهن، وهن يتشكلن في هيئات مسخية ممتتالية، فلما اقتربت أفسحن لها، وأقبلت على " الكيدورة" تولدها. واندلق في يديها جدي ماعز شقي لايهدأ عن الصياح الحاد. أصلحت من شأنه وشأن أمه لكنه لم يزل يغالي في الصياح والعويل.

كانت جدته، السابعة ذات العين الواحدة والثلاثة آذان تحتضنه، لم يهدأ، فقالت للرجل:-

- هيا خذ عنا هذا " الشطاح" وابدله لنا بولد أخت هذه الفتاة الطيبة في حي الإنس.بعد إغماضة عين وانتباهتها كانت الجنية تداعب ابن أخت الفتاة اللعوب. فكرت والتفكير سريع - وتذكرت إبرة في ضفيرتها، دستها خفية في قدم ابن اختها، فانفجر باكيا بكاء اشد من بكاء شطاح الجن. تواردت عليه الجنيات يهدئنه، لكن الألم كان يعتصر مهجته فلا يقر له قرار.

قالت الجدة السابعة لزوج حفيدتها، "إذا كان شطاحا بشطاح فنحن نفضل شطاحنا"، أعد هذا الشقي لحضن أمه، وأتنا بابننا.

وفي لحظة عين عاد وليد الجن لأمه، وعاد وليد الإنس لأمه. إلا أن الإبرة لا تزال تنشب مخلبها في نياط قلب الرضيع. استيقظت أمه ووالدتها فلم يعرفوا ما به، ظنوه ملسوعا فاستدعوا الراقي لكنه لم يستشعر سما في جسمه.

عادت الفتاة خلف الفارس، بعد أن ودعتها كيدورة" وقالت لها:-

- إذا رأيت بعد اليوم إحدى الزواحف أو الكائنات الضعيفة فاضحكي عليها.

اقتربت الفتاة التي هبطت من الغيب فجاءة، واحتضنت ابن اختها، وعالجت الإبرة في قدمه حتى استلتها فهدأ وعاد إلى وعيه.

وفي الصباح حدثت أمها وأختها بما لاقت، فتلون عليها التعاويذ، وأوصيتها أن تكتم السر حتى تجتاز عتبة الشباب

وفي رواية اخرى أن الجنية كانت على هيئة فارة، ولم تزل تلد حتى أصبحت الفتاة لا تسيطر على المواليد إلا بريق متخذ لصغار غنم الجن. وقد رجحنا النسخة الاولى لتكاملها واستنادها الى مثل شعبي مأثور، هو مثل الشطاح.

قال الراوي: وحدثت بالحكاية لما أصبحت عجوزا تخافها الأيام والحوادث

من قيم الفتوة في الشعر الشعبي ، الغفلة "و" الضلال

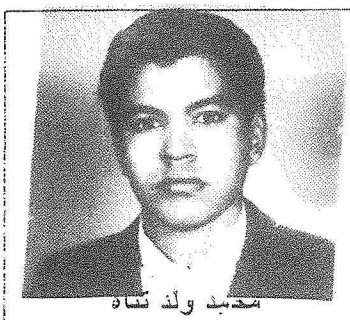

محمد ولد ثناه

قصاص، باحث في تاريخ السرد العربي
دبلوم الدراسات المعمقة في الرواية وليست دكتوراه السلك الثالث
كما في العدد الماضي الموكب التقافي

.1يوجه هذه العجالة هاجس المقارنة بين بعض قيم الفتوة:في الشعر العربي القديم وفي الشعر الشنقيطي الملحون.وتسعي هذه المقارنة إلي أن تتبين لماذا وكيف أحتفظت ذاكرة النوع ب"جوهر" قيم الفتوة وإن أختلفت مظاهرها عبر العصور؟.ولماذا أستطاعت هذه القيم ـ دون كثير غيرها من تقاليد الصنف ـ أن تجتاز حواجز التحولات الشكلية واللسنية التي مست الشعر العربي ولغة الشعر العربي فيما بين الجاهلية وصدر الإسلام من جهة،والعصر الشنقيطي ـ إن جازت التسمية ـ من جهة أخري.

ويجدر بادئ ذي بدء أن ننوه بأن وصف "الغفلة"أو"الضلال"في هذه السطور لايحمل أي مضمون أخلاقي،لسبب بسيط هو أننا نتناول هذين الوصفين كقيمتين من "قيم الفتوة في الشعر" والشعر ـ مادام أكذبه أعذبه ـ غير الحياة.ونحن نعرف كم كان البون شاسعا ـ خصوصا عندما يتعلق الأمر بالغزل ـ بين خطاب الشعر وسيرة الشاعر.

وحيث أن الفضاء المتاح لهذه السطور ـ زمانا ومكانا ـ يحول دون مقاربة الموضوع بجدية أكثر،فإنها (أي هذه السطور) ستجزئ بالإلماح إلي نماذج من قيم الفتوة في شعر الجاهلية وصدر الإسلام،قبل تناول هذه القيم ـ متأثرة بالإسلام شكلا ومعني ـ في الشعر الشنقيطي الملحون.لنختتم بملاحظات ذات صلة بالإشكال الذي أثرناه منذ حين آملين ـ ولومن باب التمني ـ أن نسهم في لفت الإنتباه إلي ضرورة الإهتمام بالبعد العربي لموروثنا الشعبي بعد أن قام الأغلب الأعم من البحوث التي أنجزت فيه علي مغالطة كبري هي تجاهل هذا البعد العربي،ومحاولة إتخاذ التراث الشعبي "بديلا" للتراث الفصيح.

2 يلاحظ قارئ الشعر القديم تمدح الشعراء ببعض الصفات كالفجور والجهل والظلم والكبر

ـ حلفت لها بالله حلفة فاجر
لناموا وما إن من حديث ولاصال

ـ ألا لايجهلن أحد علينا
فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ـ إنا إذا ألتقت المجامع لم يزل
منا لزاز عظيمة جشامها

ـ ومقسم يعطي العشيرة حقها
ومعز لحقوقها هضامها

والواقع أن قيم الجهل والظلم والإستعلاء إنما كانت - إلي جانب الحلم والتسامح والجود - جزءا من منظومة القيم والأخلاق العربية،تتداخل في المحيط القبلي الواحد. (علي نحو مانجد في بيتي لبيد)كما تتداخل داخل وعي الفرد الواحد:

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم

ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فمن رام تقويمي فإني مقوم

ومن رام تعويجي فإني معوج

وجدير بالملاحظة أنه لايمكّن في كثير من الأحيان الفصل بين قيم الفتوة من جود وجهل وبطولة وفتك،وقيم الغزل،فهي كلها قيم الرجولة الهادفة إلي إنتزاع إعجاب الأنوثة:

هلا سألت الخيل يابنة مالك

إن كنت جاهلة مالم تعلمي

بخبرك من شهد الوقيعة أنني

أغشي الوغي وأعف عند المغنم

وواقعة إحتكام إمرئ القيس وعلقمة الفحل إلي أم جندب - صحت أو لم تصح - لاتخرج عن هذا السياق،كقصة زواج حاتم من ماوية تماما.

ولئن أختلفت الأوصاف التي كانت - بعد الإسلام - تطلق علي الفتيات من عصر لآخر ومن بلد لآخر،فإن الفتوة بقيمها الآنفة ظلت حاضرة دوما في الثقافة العربية.ظلت حاضرة رغم ماجاء به الإسلام من تحديد لعلاقة الفرد بالله (العبودية وماتقتضي من الطاعة)وعلاقته بعباد الله (الأخوة وماتقتضيه من مساواة بين المؤمنين).وهكذا تفسح هذه القيم المجال أمام فتوة إسلامية،يمشي أصحابها علي الأرض هونا.وإذاخاطبهم الجاهلون قالوا سلاما.ويدفعون بالتي هي أحسن السيئة.وبعبارة واحدة يتمحضون "للجهاد الأكبر،مجاهدة العبد هواه".هذا في "مقام الإحسان "علي الأقل.

ومن هذا المنظور الديني أصبح الجهل،والفتك،ومايشاكلهما،قيما غير مرغوب فيها في المجتمعات الإسلامية من الوجهة الدينية،مدانة لما فيها من تنافٍ مع"الإحسان"ومرغوبا فيها لملاءمتها - أصلا - لنفس الإنسان.وربما كان من أطرف مايعبر عن هذه النظرة المزدوجة وصف الشناقطة لهذه القيم "بالغفلة"و"الضلال" وإن كان وصفا أقرب كثيرا إلي المجاز منه إلي الحقيقة.

3 والمتأمل" لتمظهرات" قيمة الجهل في المجتمع الشقيطي مثلا يجدها بارزة في الكثير من الأمثال والتعبير الشائع،غير خافية الصلة بأصلها العربي القديم،فقول أحدهم عن نفسه علي سبيل التمدح إنه"ألعك من طويص" لايقصد به المعني الاصلي للمثل الفصيح"أشأم من طويس" بل يقصد به بالفصيح"أجهل من طويس"كالإفتخار بصفة (الفسيد)أو(الحمق)أو(الشقاوة)أو الإفتخار بأنه(كافر وحمار)وهي كلها عبارات يكني بها صاحبها عن جسارته وإقدامه.وعن عدم تورعه - إذا غضب - عن أي بطش أو فتك مهما كان منافيا للعقل أو للدين فهو حري بوصف الغفلة(الغفلة،لغة ضد التقي أي الحذر)، ومن هنا كان التمدح بالغفلة من حيث هي قيمة تشمل القيم السابقة كلها:

كالول يلمنك مزهود

عنك مايسري لك موجود

ماه محمود أل معهود

أشقران أل إبيع المزيان

غير آن يباشت لغيود
ران لك زاد أن غـفلان

ويشكل (الغفـلان) مصدر فخر لمحيطه كالناسك الخاشع تماما:

فيه أجناس الناس أتر نوع
ماه شاغل كـون الركوع
والسجوه فحى الخشوع
وأتر نوع أوخـر فتعانيد
الغفل مزال أمطبوع
أفيم الضـلال البعـيد
يوم الروغ أل ماه طوع
أبد كـــاع أل ماه افليـد

ومن الواضح أن قيمة "الغفلة"جاءت مقرونة في هذا النص الأخير بقيمة "الضلال"التي لاتكتسب مدلولها القيمي كاملا خارج نطاق الخطاب الغزلي ولايعني وصف الإنسان بأنه ضال - في غالب الأحيان - أكثر من كونه مرحا، أومقبلا علي اللهو البرئ، أومتصابيا (إذا كان شيخا).وربما تساعدنا في إيضاح مفهوم"الضلال"العودة إلي ذلك التمييز الذي تقيمه التقاليد المروية بين (عزة مولانا)"الحب في الله"و(عزة إبليس)"الحب في إبليس."

ففي هذا التقسم يتبوأ "إبليس"أو"الشيطان"أو"اللعين"- كرمز للحب المحظور - مكانة متميزة في أدبيات الحب وفي الغزل الشعبي، والذي يتمحض للغزل والعشق يعي أنه(غافل)عما أمربه، وأنه(ضال)عن سواء الصراط، لأنه يتابع مايزينه له الشيطان، ويتابع الشيطان نفسه مالم يتراجع الشيطان عن نهجه، ومن الطريف أن لفظ الضال في هذا السياق لايرادف(المتبدع)ولا(الفاسق)لأن "الضلال"نادرا مايبلغ حد ارتكاب الكبائر.بل لاينبغي أن يبلغ حد بعض الصغائر لأن القاعدة في العلاقة بين الجنسين أن :(اللسان باللسان واليد مكروفه) الكلام بالكلام واليد مكروفه.

هكذا إذن شكلت قيمتا الغفلة والضلال قيمتين أساسيتين من قيم الفتوة.وكثيرة هي (الأعصار) التي كانت تطلق على نفسها(لغفاله)وقد يبدو وجيها أن نتساءل كيف تعايشت هاتان القيمتان مع القيم الإسلامية في وعي الفرد الشنقيطي المحافظ غالبا؟

إن اختيار لفظي"الغفلة"و"الضلال" للدلالة علي هذه القيم، يعني، ولولفظا، تبنيَ هذه الفتوة للقيم الإسلامية علي مستوي الإيمان والإعتناق، ويتخذ تعايش هذه القيم ثلاثة أشكال:

1-3:التتالي في الزمان:

فزمن الغفلة والضلال الطبيعي هو الشباب وليس مألوفا أن يبقي الإنسان ضالا طيلة حياته، كمايفهم من قول الشاعر:

وأتر نوع أوخر فتعانيد
الغفل مزال أمطبوعأفيم الضلال البعيد

وبقدر مايكون الضلال فخرا للشباب فإنه يكون سبة للكهول والشيوخ(كهل ضال - ضلال الشيب)ويبين النص التالي كيف ينبغي أن تنتهي نزوات الشباب:

نعرف عن كطيت أبغيت
الغيد أغنيت أفلبتيت
وفلشوار أمـــل غنيت
وأفبلاد أرتد أغناي

واليوم أعل راصي وليت
سابك ماجات المناي
أغفرل محد موجود
أغناي ينكال أحذاي
وأغفرل زاد أمنين إعود
أغناي ينكال أراي

2-3التجاور في المكان:
حيث الضلال والغفلة والسفه وما يشاكلها من قيم ضرورة يمليها الحفاظ علي وقار الوقور وحلم الحليم ومكانة الناسك ولكل من(الغفلان)والسفيه والحليم والناسك، داخل القبيلة، دوره ومقامه بحسب ماتقتضيه الحال.وفي المثال السابق(فيه أجناس..الخ)كفاية

-3-3- الإنسجام في مستوي وعي الشاعر:
وفي هذه الحالة يغيب النص آثار التعارض بين الخطاب الشعري والخطاب الشرعي ويقدم النص صاحبه في حال دلة العبودية متخذا من العبودية نفسها سلما لما يتنافي معها من محظورات الدين:

ملك عندام غليف حاك
ريت من مبانت لهلاك
يله غير ألا يالفكاك
وقت من لوقات أكصيف
أعطين يمالك الأملاك
وكتن عبدك وأضعيف
ملك كيفت ملكان ذاك
لكصيف عند أم أغليف

إذا كان من السهل أن نتساءل كيف ولماذا أحتفظت ذاكرة الشعر بهذه القيم علي رغم التحولات اللغوية(من الفصحي إلي اللهجة)والشكلية(من التفعيلة إلي الوزن الحالي)، والمضمونية التي لاحصر لها؟ إذا كان من السهل أن نتساءل فإن"الإجابة"- حتما - لن تكون بهذه السهولة، وحسبنا الآن أن نضيف بعض الإيضاح إلي التساؤل:

:4-1 هل أحتفظت الذاكرة العربية المهاجرة، فعلا، بهذه القيم من عهد الموطن الأول أم أن هذه القيم أكتسبت في"المنزل الجديد"بفعل الإحتكاك بالثقافة"الفصيحة"؟هل يجوز- بعبارة أخري- إذاكان بعض الشعر العامي في الجزيرة العربية قد ظل إلي ما بعد القرن الثامن ينظم في أوزان الشعر الفصيح، أن نفترض أن القبائل المهاجرة إلي شنقيط، لم تكن- من هذه الوجهة، علي الأقل- مقطوعة الصلة بالتراث الشعري ؟

:4-2 هل يكفي التشابه الكبير بين مجتمعنا والمجتمع العربي القديم، لتفسير تمثل الأول لهذه القيم، أم أن هذه القيم- وهي كما ألمحنا سلفا- تتمحور جميعا حول القيمة الرجولية الهادفة إلي إنتزاع إعجاب الأنوثة، قد تحولت قيمة إنسانية مرتبطة بما هو "لاصق بالقلوب"ممالاتجد أحدا غير"ضارب فيه بسهم حلال أوحرام"-إذا أستخدمنا تعبيرا به فتيه في مقدمته المشهورة للشعر والشعراء ؟وهذا من وجهة التحليل النفسي - علي الأقل- مقبول

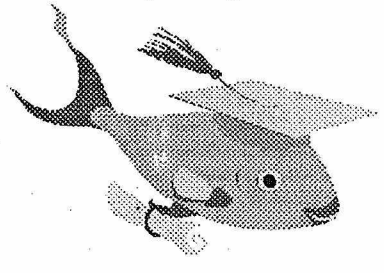

حكاية البنت البارة

م.أحظانا

" قيل فيما قيل إنه كان في الزمن الغض، رجل له ثلاث بنات ماتت عنهن وأمهن. وكانت للأب ناقة ذلول ودواب أخرى ينتجع بها المراعي ومساقك المطر، .في الصيف عندما تهب أوائل السموم يرادف بناته الثلاث علي ناقته الذلول ويقودها جنوبا إلي شاطئ نهرإسغنان حيث الاودية والظلال المستحمة بالمياه الباردة .وعندما تطير أول ذبابة من ذباب الخريف مع أول رشة تهديها السماء للأرض يرادف بناته الثلاث علي ظهر ناقته ويأخذ بخطامها ويسوق دوابه شمالا، إلى أن ينقطع عنه طنين البعوض وذبابة الخريف فينزل، ولايوجه وجهه جنوبا إلا في نهاية الشتاء المقبل.

في إحدي الرحلات نزل الرجل وبناته بخيمتهم غير بعيد من قبر صالح وعندما أشتدت عليهم حلكة الليل سمعوا أنينا من جانب القبر.

في الليلة الثانية أيقظ الأب أصطكاك عظام قادمة فسأل صاحبها: إنسي أنت أم جني؟
فأجابته العظام: إنسي.

فسأله الأب: مؤمن أم كافر.
فردت عليه العظام: مؤمن صالح، مت قبل أن أؤدي حق الإنجاب فسأله الأب وقد أطمأنت نفسه: وماذا تريد ياعبد ! لله؟
فأجابه العبد الصالح: أتيت أخطب منك إحدي بناتك.

فسأله الأب مستغربا: وكيف ذلك وأنت عظام وهن لحم؟

وأنت في لجة الموت، وهن علي بر الحياة؟
فرد عليه العبد الصالح: إن صلبي يطالبني بحقه مني ولذلك يسمع كل من مر حول قبري أنينا لاينقطع، ولما سألت عن ذلك أهل الدراية من الأموات قالوا لي إن في صلبك ذرية تطالبك بحقها منك، وإذا لم تتزوج وتنجب أرجعت غيرك في مضجعك إلي يوم النشور.

فرق له الأب وقال له: إذهب عني إلي غد، وسأسأل بناتي إن كن يرغبن في الزواج بك ولا اراهن يقدرن.

فذهب العبد الصالح وركبه تصطك من شدة الفرح، وفقار ظهره عارية من اللحم بيضاء تلمع في الظلام.

في الصباح أستقبل الأب القبلة وصلي صلاة الإستخارة فأنعمت له على بنته . أستدعي بنته الكبري، وعقد لها غفران حقه عليها في الدنيا بزواجها من العبد الصالح، لكنها حلفت لاتتزوج ميتا إلا أن يحملها اربعة الى قبرها.

حول عنها الأب وجهه، وصرفها، وأستدعي البنت الوسطي، وعقد لها غفران حق الاب على ابنته في الدنيا بزواجها من العبد الصالح.فحلفت ونسيت "إن شاء الله" لا تتزوج ميتا، ولو زفت الى قبرها عذراء.

أشاح الوالد عنها بوجهه مغاضبا وصرفها، وأستدعى إبنته الصغرى، وكانت في غاية الجمال والبرور فأستأذنها علي تزويجها من العبد الصالح. رضيت البنت البارة بما رضي لها ابوها به.

في الليلة الموالية جلست البنت في قبة تصبت لها شمال خيمة أبيها، تنتظر العبد الصالح، ولما نام الناس سمعت إصطكاك ركبه، وهو قادم، وأقشعر جلدها حتى كاد ينخلع لما أسها على صدرها فزعا، ولكن بروروها زاد جلدها وصبرها، ولما دخل بها العبد الصالح ترك لها وسادة كتب عليها إسمه واسم إبنه منها، وودعها وقد ألتأم اللحم علي ظهره، واستوى كنخلة مكنونة.

في الصباح أقبلت الأختان علي شقيقتهما ليغرفا هل هي حية أم ميتة؟ فوجدتاها على أحسن حال، كأن نورا لألاء يسري فيها وتحت رأسها وسادة كتب عليها بحروف عجيبة إسم العبد الصالح وإسم ولده الذي سيولد له،ولما شقتا الوسادة ابتسمت عن تبر خالص ناعم نعومة الحرير.

بعد سبعة أشهر ولد للبنت البارة ولد كالبدر، كتب علي جبهته إسمه وإسم أبيه.أما الأختان اللتان لم تستجيبا لطلب والدهما فزفتا الى لحديهما وهما عجوزان عانسان، وكان قبراهما يئنان طوال الليل كلما مر من حولهما أحد المارة إلي يومنا هذا لأن ذريتهما في الغيب تطالبهما بحقها وتشتد عليهما الضمة لا يزورهما إلا الورل الزحاف، أنيس العوانس في قبورهن.

قالت الراوية: وانتهت الحكاية جنبنا ا لله الشرور، واقر أعينا بما روقنا

بقلم السالك ولد محمد المصطفى
(المعهد الموريتاني للبحث العلمي)

سدوم ولد انجرتو :

عبقرية التشاكل الصوتي والمعجمي

على الرغم من أن شهرة سدوم ولد انجرتو عمت الآفاق الصحراوية أو على الأقل ما عرف بموريتانيا فيما بعد، فإن حياته وشعره لم يحظيا بالتداول اللازم الذي من شأنه توطيد شخصيته وإشاعة مظاهر إبداعها تاريخيا وفنيا، من وجهة نظر الثقافة العالمة (المكتوبة) السائدة، إنما كان تراثه الواسع الانتشار شفويا موكلا إلى مأثورات شعبية مصدرها " المغنون" (لمغنين) والشعراء المؤلفون باللهجة الشعبية الحسانية الذين ينتمون إليه بالابوة الفعلية أو التأثيرية، الأمر الذي نجم عنه عدم إمكانية التأكد من صحة ما ينسب إليه من الشعر.

لقد كان هذا الشاعر الشعبي من أقدم شعراء اللهجة الحسانية المعروفين في الصحراء [1]ولذلك كان محط أقاصيص وروايات يطبعها الاختلاق والتفسير الاسطوري، سواء في ذلك ما يتعلق منها بالظروف التي أحاطت بنبوغه، أو بتسميته، وحتى حول الشخصية الاميرية التي تفجرت عبقريته بين يديها.

لكن إنتاج سدوم مهما كانت حقيقة شخصيته يعكس فعلا وبكل وضوح القيم السائدة حيث شكلت قيم الدين والمروءة ثقافة بدوية " خاصة" – آنذاك- في مجتمع الصحراء امتدت أشعتها في كل الاتجاهات (القارات الثلاث التي كانت تعرف بالعالم القديم). لقد شكل الإلتزام الكامل بتطبيق شعائر الدين الاسلامي الحنيف اعتمادا على المذهب المالكي مع اخلاقيات الجود والإباء والنجدة والأنفة والشجاعة وحسن البلاء في مواقف الشدة والمهارة في فنون الحرب ومعرفة أنواع السلاح؛ كانت تلك القيم قد شكلت فيسيفساء الثقافة الصحراوية، وكان إنتاج سدوم مثلا أعلى لتجسيد تلك القيم فعلى المستوى الدلالي:

اقرأ معي – مثلا- المقطع التالي من " اتهيدينه" سمى الشاعر مقامها الذي أنشدها فيه " أدْكَسْرْ ([2])"قالها في حق عثمان ولد اعل بابي ولد اعمر أحد قادة إدوعيش(في فترة تأصيل الكيان الاماراتي):

واغفر ذنب أخيار حلتن عثمان
ألـلي فالغفران يحظيه امدبـر
بالتوحيد والصوم في ماي رمـضان
أبالجوارح كاملات إلين يفطر
أكان أفطر زاد ما يعمل عصيان
أمن أهل الذنب الخادمين متمنكر
ست افرايض إجيبهم ساعت الأذان
يحصيهم مافات فاصلاه كيـر
وحد منهم نيت الفرض بالخشعان
أوحد فرظ يسبق لين يطهـر

[1] لقد كان الشعر الملحون من أغنى ألوان الأدب الشعبي، نشأ في الصحراء ثم انتقل إلى تافلالت ليزدهر في الحواضر الشمالية بعد ذلك، ومن الاسماء التي لمعت فيه: عبد الله بن احساين المتوفى القرن 9 هـ الذي يقول:
لا اتقول لي ياحسرتا اهل ازمان   افكل ازمان كاينين
وهو أول من اكتملت عنده القصيدة الملحونة انظر كتاب: ثقافة الصحراء للدكتور عباس الجراري شارع فكتور هيكو – الدار البيضاء – المغرب ص 32 وما بعدها.

- [2] أدكسر: وزن من أوزان الشعر الحساني، تقوم على عشر متحركات وكل شطر (تافلويت) بها "تيّ" ينتقل من تافلويت إلى أخرى، ويكاد يكون متواصلا، وهو: بت قديم قائم بنفسه من ابداعات سدوم ولد انجرتو العروضية انظر ديوان الشعر الشعبي لسدوم ولد انجرتو الهامش 54- منشورات المعهد الموريتاني للبحث العلمي، تقديم وتعليق جماعة من الباحثين

أوحد يلبس ثوب طاهر .عند كـــان
أوحـــد لبلد زين وانكك يستنظر
أوحد شور الفرض يتفيف عجـلان
أللقبل يســـتقبل لين إودر
أخالك فرض انزل بام القــرآن
فاعشاه والمغرب والصبح يـجهر
فعل اصلاه فـرظ إواسيه أكـران
كون أثلاث سنت انبيه البيشـر
أرفوع لايديه سن ذيك كـــان
أكعد عند الواسط سن تخـــطر
بين أفراض ذيك حاسنه عثمان
أبالتسليم زاد بالراص إمصير
أعارف عن تميال الراص إلى ليمان
أفضل من تميال أعل الزر الأيصر

إنها صلاة خاشعة طاهرة مخلصة، تنم عن معرفـة صاحبها بأحكام الصلاة من فرائض وسنن ومندوبات، وإنها صلاة تبدو بالمقارنة مع صلاة مساجد البادية عندنا أقرب كثيرا الى صلاة رسول اللـه صلى الله عليه وسلم، بالنظر إلى كتب الفقه والسنة، وممارسـة أكابر العلماء، وعثمان هذا الذي يرسم الشاعر سدوم لوحـة لـه وهو أثناء الصلاة، يشترك في تجسيد الصورة في ذهن المتلقـي المخـزون الجمعي مـن الـتراث الاصيـل كآيات الاحكام والأحـاديث الصحيحة عن الصلاة، ثم يستخدم بت الواكدي [3] من عشر متحركات بعد تدبيجـه في ثـوب جديد سماه " أدكسر" لكي يتمكن من حشر الكثير من المفردات حتى يشـبع نهمـه الانفعالي. ثم ينشد ذلك في مقام " لكحال من اجانبه الكحْل" في مقام " عرايْ اسروز"

وفي مقطوعة أخرى يرسم سدوم صورة لجانب آخر من شخصية عثمـان هـذا وهـو فتـى يتحلـى بجميـع صفـات المروءة حيث يقول فيه، هو:

اللي يـقوم النفـــــسـيَ
هو بعرْف المشـــــهرْ
بقطاي بـــسبـــــــنيَ
لاويه بتهليلْ احـــــمرْ

تحتْ فالروغ أزكيـــــطيَ
أفيذْ بفمينْ أمعـــــمرْ
عطايْ الـخندود اخــــليَ
وأحايك والعكر لحــــمر
بعـين شـفت الســـيديَ
الحمرْ والرهـج امغــــبر
هي كـاع الكـــــداميَ
اتكاب والراص امصـــير
تركـص كيف القانــــوتيَ
من زي الكالب تجـــمر
تحت أفـكراش العـــــربي
عثمان أفكراش أهل أعـمر
كـتال ابليد الســــخيَ
اتكوش أهل التـلبه فالـشر

الفارس البطل السخي تجسدت صورته الخارجيـة والداخلية (المادية المعنوية) : " هو بعرف" ويعني ذؤابـة من الشعر في مقدمة الرأس، المشهر :جعل اللابس لأحسن ثيابه، وهـو: بكطـايْ وهـي ذوابـة الشـعر فـي مؤخـرة الـرأس، و"بسبنيْ" وهـي قطعة من قماش الحرير ناصعـة اللـون حمرة أو خضرة، وتلوى تارة فوق الرأس وتارة في الرقبة، وعثمان يلويها الآن في هذه الصورة في رقبته، و"بتهليل" ويعني محفظـة صغيرة من الجلد تصنع محليا، وتزخرف بـالكثير من الرسوم يعلقها الرجال على صدروهم، وهـو يركب أزكيطيْ من مدارك خيل إدوعيش الشـهيرة، وبيده مدفع " بفمين" أي له فوهتان.

هذه صورة مادية واضحة تتداخل فيها عدة ألوان، ثـم تبدأ الصورة الداخليـة: عطـاي الخنـدو: الممتلئة لبنـا وحـذف

[3] الواكدي: بحره العروضي المفسيح الرمل، وظهره من موسيقى البيظان فاغ الأكحل والأبيظ: عراي امروز، وتوزن تيفلواتنه (أشطاره) بعشر متحركات، ولابد أن ينتهي ساكنان في أولها قبلهما متحركان. وساكنان في آخرها بعدهما متحركان. ولا تكون تيفلواتن (أشطار) كيفانه إلا اثنين متفقين في الروي خلافا للمقامات الحسانية الأخرى. انظر: الميزان في معرفة لبتوته ومايقاربها من بحور وظهور في أزوان محمد محمود ولد عبد الفتاح الابييري أحد علماء القرن الثالث عشر الهجري مخطوط بخط ابراهيم ولد مولود الخميس 8 جمادى الاخيرة سنة 1376 هـ في بوتيليميت.

الموصوف وهو الناقة أو البقرة وجاء بوصفين متتاليين: الخندود اخلي، ومعناهما على التوالي: الممتلئة لبنا، حديثة النتاج، وأحايك والعكر هي أقمشة من أغلى المنسوجات في ذلك الزمن.

ولقد رأيت فرسه الحمراء من مدارك السيديات تندفع به في غبار المعركة، وهو يتقدم الشجعان وفرسه ترقص بأرجلها (اتكاب) وبرأسها (الراص إمصير

.(هذه القيم (قيم المروءة والدين) قد تأتي في نصوص مختلفة كما مر معنا، وقد تتداخل في تشاكل دلالي معجمي في نص واحد، يهدف منه الشاعر الى زخرفة اللوحة الفنية التي يريدأن يرسم لبطله كما في اتهيدينت " كرو" التي أنشد في حق سيد احمد ولد امحمد المشهور ب "شيخ آسكر" رئيس أولاد لغويز:

سيد احمد كتال إكيـــــــار
ول امحمد سند الصـــــلاح
سيد احمد غشوتهم ديـــــــار
اكيود أهل التـــــلب رواح
سيد احمد سند اهل التفســـــار
عطاي أكطاي الروجـــاح
جمع فالخط أكان اعســـــار
يرفد تكلت حمل المـــرزاح
كومه بأفكرش تحمـــــــار
اعفيس المشكيط الصـــياح

فصورة سيد هنا فيها مقابلة بين من يقتل الملوك (إكيار) وبين من يكون ملجأ وسندا للصالحين من المجتمع، إنه قتل في سبيل الاخلاق الحميدة وليس من أجل القتل فقط، وتتواصل المروآت: ديار اقيود أهل التلب، الباحث عن قواد الظلمة ورؤسائهم، وعطاي أكطاي ويعني الطرد الكبير من القماش الذي يتأرجح حامله من شدة ثقله، ثم إن جمعه ويعني به قبيلته وحيه إذا كان زمن العسرة والشدة يحمل عنهم حمل الكسالى والعاجزين

(المرزاح)، وحافظ على أفضليته هذه بالقوة (تحمار المشكيط الصياح) ا شكيط: الرصاص.

وقد نلاحظ هنا في نص سيد احمد غياب الصورة الخارجية، والتركيز على الصورة الداخلية، فهل لذلك علاقة بكون الشاعر يعيش في إدوعيش ويزور سيد احمد ول امحمد من حين لآخر لقضاء بعض حوائجه، وهذا ما تؤكده الرواية الشفوية، التي تقول بأن هذه اتهيدين قالها له بعد أن أرسل له " أكنيبه". وقد ركز في تصميمه لصورة امحمد شين ولد بكار ولد أعمر على العنصر المعرفي وطغيان العبادة في سلوكه على باقي شخصيته، فيقول في نص معنون بيوم " أنضي:"

محمد طفح الشبـــــــات
مالاح فالـــــذنب أراح
والقرآن أتلت مـــــرات
كرر نص في الألـــواح
أم كاع الدعيـــــــات
والسنوس بيهـــم راح
والسلبي والنفسيـــــات
إفسرهم بالتطـــــراح
أواكف كدام الممـــــات
والتوب توبت نصـــاح
أيد اتشطط فالكومـــات
اعشار أمخظ وألكـــاح
وأيد اتوف فالفديـــــات
ذيك اشتغلت بالتســـاح

يتواصل

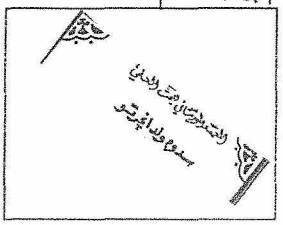

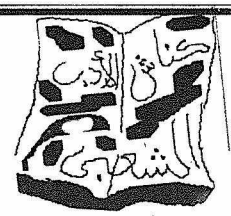

كناش الأدب الشعبي

يكتبها : الخليل ولد مولود

اديب شعبي

بين العزيمة والمحب خصام دائم، وينعكس ذلك في أدبنا الشعبي، في نماذج كثيرة من ذلك قول محمد ولد احمد يوره:

تَنبــغره واودشْ والحـــوطْ * ماعزم كنت ألهــم نـــوطْ
ألا عـــزم تـوطْ فـــانـبوط * كُنت ألا فيــــر المعتــوك
حـــــك أل خطط لخطـوط * فيـد مـــاعزم كنت انتـوك
أعـــل فـــم انـتوك انـــوط * فاهــل انتوك احــزم موتوك
غـيـر عـيَ ولْ آدم عـــزم * يخـــسر لجاب لهل انتـــوك
واتخـصر عـزم مـن لـــزم * تنبغر وابـــ ر المعتـــــوك

وللحوار الداخلي شأوه عند أدباء الحسانية، حيث يتطور إلى حد اتهام النفس للعقل بالجنون، من ذلك قول الأديب الشيخ بويا ولد سيدي هيبه:

يعكل راع تـيــككلــــــت * أخير اتوب اكبـل مـــامتْ
وأمل هك اذكـــديـــــــت * ترارين اذاك الـصــــابون
جاجـلك يلعكل اتفكـــــدت * لعدت أل مـا نك مجنـــون
تعرف خظت امن هون اخظت * أمـن هـون اخظت أمن هون

والأديب الشعبي يحمل بين جوانحه أحيانا فلسفة الاستمتاع باللحظـة والصفو اللذان يعيش فيهما مهما كان الثمن، من ذلك قول الشيخ محمد الامين ولد لمحيميد:

ليـلـه عـــنـد أعـرام * أل كـــبـلــت لـخــيـام
حـــد أفـــعـلـه لـــكلام * الخـاســر عمـل أعلـيه
واعـمل زاد أعـــل ايـــام * حـــابـس سـيــك فـيـديه
مـــاه فـــوك الـــتخــمـام * واشـــف فـيــه أعـاديـــه
ذاك أل فـــنـيه الـخيـــر * أشبــه حـــد إواسيـــــه
ليـــــلـه فالـخير أخيــر * مـــن لـيـلـه مـاه فـيـــه

الإسلام وحوار الحضارات

محاضرة

الشيخ عبد الله ولد بيه

بقلم السالكة بنت اسنيد
قسم البرامج الثقافية
بالاذاعة الوطنية

نعود إليك عزيزي القارئ في الجزء الثاني من محاضرة الشيخ عبد الله ولد بيه حول حوار الحضارات، وكان سؤالنا المعلق هو:
ماهي موضوعات النقاش وأولويات الحوار؟ وأين تكمن مواطن الإختلاف والإتفاق في هذاالموضوع؟ .
جاء ضمن ردود الشيخ عبد الله ولد بيه علي هذه التساءلات أن نقاشات متعددة بين مختلف الأطراف حددت النقاط التالية بأعتبارها موضوعات للحوار:

1) الديمقراطية وحقوق الإنسان في الإسلام وعند الغرب.
2) الإقتصاد في الإسلام.
3) الحالة في البلدان.
4) الأقليات الإسلامية في أوربا والمسيحية في البلدان الإسلامية.

وبعد إستعراض هذه النقاط وأهميتها في الوقت الراهن وإنطلاقا من تجربة الشيخ بيه المستخلصة إثر اللقاءات والحوارات المختلفة بين الاساتذة أن هناك مسائل تحتاج إلي توضيح وحوددا في النقاط الآتية:

أولا: التمايز البشري:

موضحا أنه لابد أن نثبت أثناء الحوار حقنا في أننا حضارة متميزة لها حقوقها، وخصوصيتها. مبرزا أن التنوع البشري يعد مصدرا للثراء والإغتناء، ولاينبغيتصور وجود حضارة واحدة غالبة، بل هناك حضارات مختلفة يمكن أن تتواجد وتتعايش في وحدة.
دون صدام أو حرب، موضحا تمسك الإسلام بالحوار باعتباره أمرا ربانيا "أدع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" رافضا المواقف الداعية إلي رؤية الغرب بمنظارنا وإلي رؤيتنا بمنظار الغرب، معرجا علي التعريف القائل :إن "الحضارة جحيم الإنسانية ونعيمها"، والقضاء علي الصراع والحرب يتم بالإعتراف بالتمايز البشري: "ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " "ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك" مؤكدا من خلال الآيات الكريمة علي طبيعة الإختلاف مع ضرورة منع الصدام

ثانيا: حقوق الإنسان وحرية المعتقد:

فهذا المبدأ يعد مصدرا لإهتمام الغرب ، مبينا أننا لا نختلف معهم في هذا المبدإ

فقد ناضل الإسلام من أجل حرية المعتقد، ومثال عمار وسميه ساطع في التراث الإسلامي واضح.

أما أوروبا فإنها في الوقت الذي ترفع هذا الشعار ، وترى أن المسلمين أقلية في أسبانيا بعد أن كانو أكثرية.

فهل تطبيق حرية المعتقد هو الذي أدى إلي هذه الوضعية ؟

ولوكان الإسلام ضد حرية المعتقد لما كانت رئاسة الروم الارتدكس في عاصمة الخلافة الإسلامية.

إذن فالمعتقد، حتى غير الإسلامي، يحميه الإسلام، واستنتج المحاضر أنه لابد من تجلية هذه المواقف من خلال الأحداث، ونبش التاريخ، وإبراز معاني الايات الكريمة، والأحاديث النبوية الصريحة في هذا المجال: "لاينهاكم الله عن اللذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين."

وفي نقاشه وتفسيره للاية قال :"إنه يمكن أن تدفعوا لهم جزءا من أموالكم" مؤكدا أن البر هو غاية الإحسان.

ثالثا: موقف المجتمع من المرأة:

إن الغرب يثير كثيرا من الآراء حول هذه النقطة، متهما إيانا بعدم فتح الباب أمام مساواة المرأة مع الرجل في الحقوق والواجبات.جاهلا أن موقفهم موقف إنساني، في الوقت الذي يعد موقف المسلمين قديما، ومصدره رباني ، مبينا أن الظروف التي جاء فيها الإسلام.

كان فيها وضع المرأة مزريا حيث لا تورث وتوأد. وشكل الإسلام ثورة قوية في وجه الكفر والوثنية ورفع الظلم عن المجتمع عامة والمرأة بشكل أخص.

فلا بد إذن من تجلية موقف الإسلام من هذه النقطة طالب الأستاذ بأخذ موقف الإسلام الشامل، حيث يري الطبري، ولاية المرأة، وعلي الرغم من موقف الإسلام من هذه النقطة، فإنها مازالت تحز في نفوس الكثير من الغربيين وحتي الذين أعتنقوا الإسلام، مما يتطلب جهودا مضنية لتجلية موقفنا من هذه النقطة.

رابعا: مسألة الحكم:

إنهم يتبنون الديمقراطية الإنتخابية ويعتبرونها كافية لحل المشاكل، وقد أوضحنا خلال المناظرات معهم، أنها فكر بشري يعبرعن مرحلة تاريخية معينة، في الوقت الذي نتبنى موقف الشوري، مبرزين تراثنا الغني في ميدان ممارسة الحكم فبالإضافة إلي نظام الشوري. لدينا البيعة، أو نظام النقيا والقضاء.

ونحن إذا كنا نختلف في بعض نظام الخطاب، فإننا نتفق في الكثير من الجوانب

المتعلقة بالعدالة، مع التنبيه علي أن البلدان الإسلامية غير جامدة، وقد توصل الكثير منها إلى تطبيق الديمقراطية الإنتخابية دون فقد هويتهم الحضارية وطبيعتهم الإسلامية.

فإذا حققنا الديمقراطية غير الانتقائية في حياتكم، ومارسنا نحن الشورى في حياتنا، يمكن أن نلتقي في نظام عادل يضمن السعادة والرفاهية في عالم اليوم.

خامسا: الموقف من التقنية الحديثة:

إن العالم الإسلامي متخلف في الوقت الذي يعد الغرب متقدما ويملك أسباب النهوض الإقتصادي والتكنولوجي، ويفرض علينا الإتفاقيات المجحفة. مثال ذلك، أن تفاقية "ماسترخت" في الفصل المخصص للأمن تقول "إنه علي الدول الإسلامية أن تحتفظ بصناعاتها بشرط أن لاتتصرف تصرفا يخل بالأمن» فهم بهذا الموقف يعارضون أن تكون المعرفة التقنية للجميع يتصرف بها كل حسب حاجته.

وانهى المحاضر عرضه عند هذه النقطة، لتشفع المحاضرة بنقاش معمق حول القضايا التي أثيرت فيها

مداخلة

الإمام الحضرمي هل سنحي حقا ذكراه الألفية؟

احمد ولد عبد القادر
الشاعر والاديب

ذلك أمر يدخل في حيز الأهمية القصوي، والإمكانية أيضا.خاصة أنه يستحق منا ذلك.فهذا الرجل في واقع وجوده:إمام في العلم.والإمامة لاتطلق عند أهل السنة إلا علي النوادر من ذوي التميز ومن أصحاب المذاهب الإجتهادية الخاصة بهم.وفعلا كان الحضرمي إماما في العلوم الدينية وإماما في اللغة والنحو، بالإضافة إلي ريادته في العلوم السياسية، تنظيرا وتوجيها، وكانت له الأسبقية علي الذين تبعوه كابن خلدون، و(ميكيافل) والمغيلي إلخ.

ولد الحضرمي بالقيروان، وإسمه محمد بن الحسن الحضرمي المرادي، كما ترجمه إبن باشكوال في كتاب (تراجم علماء الأندلس) وجال طويلا بالمشرق وتعلم وعلم، وعاد إلى الأندلس جالبا المذهب الأشعري في التوحيد وعلم الكلام الذي هيمن منذ ذلك التاريخ وإلي الآن علي معتقدات المنطقة.وأخيرا وضع عصى الترحال في آزوكي (قرب مدينة أطار) قاضيا وموجها ومعلما ضمن حركة المرابطين الإصلاحية، وضريحه معروف منذ القدم بنفس الحاضرة التي تبدو الآن مجرد حقل أثري مغطى...

إن رجلا بمثل هذا الحجم وهذا التقادم، يجدربنا فعلا الإحتفاء بذكراه الألفية.ولكن كيف؟ إن وزارة الثقافة وجامعة نواكشوط هما المعنيتان المختصتان بالأمر سواء بسواء، وإن إقامة الذكرى الملائمة تحتاج إلي سنتين أوثلاث علي الأقل وهي برهة كافية لإشراك باحثين ومختصين في التاريخ الإسلامي، وطنيين ومن بلاد عربية شقيقة، بهدف جمع بحوثهم ودراساتهم في مجلد ضخم، لتتمحور حوله "الذكرى الألفية "كما يمكن ويستحسن ترجمة تلك الجهود إلي لغات عالمية: (الفرنسية، الإنكليزية، الإسبانية) مثلا، ومثل هذا الإنجاز يعطي لفعاليات الذكرى زخمها المستحق لأنه يكون الثمرة الملموسة التي علي هدي منها يبرر الإشعاع الثقافي الإسلامي والعربي لموريتانيا فحسب، وإنما لمجمل عالمنا الثقافي الكبير

(العربي - الإسلامي)، معززا بالبراهين ورافدا المكتبة والبحث بدماء جديدة.وعلي ضوء ذلك تأتي إقامة المعارض وتنظيم المهرجانات الشعرية (لا قبله ولابديلا عنه.(كما يجدر بنا علي ضوء الذكري الألفية، أن نؤسس مركزا تاريخيا ثقافيا حول ضريح الحضرمي

وعلي ذكر الضريح تطرح مسألة أخري نفسها، علي علاقة حميمة بالموضوع، ألاوهي مسألة وضع مشروع كبير وجدي، لإنجاز حفريات أثرية في موقع مدينة(آزوكي)، هذا الحقل الأركيولوجي البكر لم نعرف بعد ماذا يخبئ ؟وماذا يحوي من مفاجئات؟.إن المراجع التاريخية والروايات المروية المتواترة لاتختلف علي أن هذا الموقع دام برهة من الزمن وبه حاضرة إسلامية قوية.هل هي عاصمة المرابطين بالجنوب؟نعم، ولكن الإجابة الأتم والأوضح ستبقي معلقة حتي يتجلي الغيب من خلال البحوث.ومن المثبت أن أطلالا بارزة للعيان كانت ماتزال قائمة بهذا المكان حتي القرن 11هـ، وهذا الحقل يختلف عن غيره من الحقول مثل(كومبي صالح) والآثار الغانية وحاضرة (تود كست)التي تعايشت فيها الوثنية والإسلام أوكانت ذات طابع تجاري بحت، لأنه يمثل التاريخ الموريتاني الوسيط (العهد المرابطي).

وإذا نجحت الحفريات في (آزوكي)فقد يسد ذلك فراغات عديدة ويوفر معطيات تاريخية غاية في الأهمية.

وإذاكتب لهذه الحفريات أن تبدأ بداية جادة، فإن ذلك يتطلب شروطا عدة أهمها توفير المبالغ المالية الضرورية و ستكون هائلة الضخامة، إلا أنها نضمن بذاتها أنها ستكون إستثمارا مربحا في المجال المعنوي الحضاري.

بعد ذلك تأتي أهمية الإشراف الوطني اليقظ علي نتائج البحث بحيث تقوده همم وطنية مخلصة، وألا يترك في أيدي الخبراء الأجانب وحدهم، ولضمان هذا تمكن الإستعانة بالخبرات العربية المتقدمة لدي السوريين والعراقيين والمصريين والأردنيين واليمنيين أيضا)

هكذا من خلال إعطاء الإعتبار الواجب لشخصية الحضرمي بالتضافر مع شن حملات تنغيب واسعة، ومحكمة التسيير، ستأتي لنا أن نصيب أكثر من عصفورين بحجر واحد

إن حماية الهوية الوطنية وضمان قوة الإشعاع الثقافي لبلادنا ركنان ثابتان في توجهات قيادتنا الوطنية، فلم يبق إلا أن تتشابك الجهود والعطاءات، في مبادرات نقوم بها جميعا في مكانها وزمانها، فالضوء القوي يحتاج دائما إلي مشع سليم

مخطوط

"فتح الصمد في ذكر شئ من أخلاق أحمد"

الأستاذ : أحمد بن محمد يحي بن أحمد قال
رئيس قسم المخطوطات بالمعهد
الموريتاني للبحث العلمي

هذا المخطوط الذي نقدمه بين يدي الباحثين مخطوط نادر ومهم،في تراجم أعيان وأمراء القرن الثالث عشر الهجري،أكتشفه باحث فرنسي هو الأستاذ/د.برنارد ساليفينك/ مركز البحث الإفريقي في باريس منذ سنوات، وقام بترجمته ونشره،لكن بقي عنده كثير من الأسئلة عن هذا المخطوط الذي يمتاز بصعوبة القراءة وكونه لاتوجد منه سوى نسخة واحدة وجهل المؤلف والمترجم له.

وقد بعث إلي هذا الأستاذ رسالة بتاريخ25مارس1996مرفوقة بصورة من المخطوط،يسئل فيها عن مجموعة من الإستشكالات المتعلقة بالمخطوط أذكر منها: أسئلة : عن مؤلف الكتاب؟ وهل له علاقة بالولاتيين وعن علاقة أهل ولاته بالأمير أحمد؟ والتحقيق في أسماء أهل ولاته ممن لهم علاقة بالمخطوط.

ولقد أطلعت علي المخطوط وقرأته عدة مرات رغم صعوبة قراءته،كما أطلعت علي بعض المخطوطات التي كتبت في زمن المترجم له.وأنتهيت إلي النتائج التالية:

-أهمية هذا المخطوط الذي يترجم لشخصية علمية وسياسية كبيرة كان يجهل عنها كل شئ،بالإضافة إلي كونه أثرا من آثار عالم لاتذكر المصادر عنه معلومات أكثر من عنوان مخطوط إسمه"مواعظ الفلاني" تم تأليفه سنة 1278هـ، عثرت عليه في فهرس مخطوطات دار الوثائق النيجيرية بكادونا.

- علاقة الأمير أحمد بأهل ولاته.

- قيمة النصوص الشعرية المهمة التي نشرت في المخطوط لأهل ولاته،والتي كتبت في مدح الأمير أحمد في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري.

- الردود علي مختلف الأسئلة من المخطوط نفسه.

وحرصا منا علي توضيح مختلف حيثيات هذه الترجمة، ونقل صورة حية منها للباحث، كتبت هذا التقديم وأختصرت فيه المخطوط الذي ينحصر في مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة.وأشفعته بملاحظات مهمة أجبت فيها عن مختلف الأسئلة.

وأبدأ بإختصار المخطوطة الذي نقلت في الباب السابع منه قصائد أهل ولاته في مدح الأمير أحمد بن محمد بن أبي بكر الفلاني،وهي قصائد يتم العثور عليها لأول مرة.

كتاب فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد

يقول مؤلف الترجمة في بداية الكتاب مانصه (أما بعد فيقول العبيد محمد بن علي الراجي عفو ربه علي هذا كتاب سميته : فتح الصمد في ذكر شيء من أخلاق شيخنا أحمد جعلته لنفسيي ولمن شاء الله من أبناء جنسي ، وينحصرفي مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة.

ينحصر هذا الكتاب في مقدمة وسبعة أبواب وخاتمة ، أخذ فيها المؤلف بشيء من الاختصار غير مخل تعرض فيه لمختلف شمائل وأخلاق ومال وعلم وكرم وعبادة وورع أحمدبن أبي بكر الفلاني.

المقدمة: في ذكر مناقب الأولياء وكراماتهم وأقوال السلف الصالح وقد نقل من ذلك كلام يونس بن محمد وسفيان بن عيينه في قوله"عند ذكر الصالحين تنزل الرحمات، ونقل عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني والجنيد: والمثورى الذي ذكر أنه لم يزل يردد هذين البيتيين:

اسرد حديث الصالخين وسمهم

فبذكرهم تتنزل الرحمات

وأحضر مجالسهم تنل بركاتهم

وقبورهم زرها إذا ما ماتوا

وختم المؤلف المقدمة بقوله "جعلت هذا الكتاب ليكون لنا ولمن بعدنا في أقوال شيخنا أحمد بن محمد، سراجا وهاجا وإلى حبه منهاجا."

الباب الاول :في جوده وزهده وذكر بعض أعطياته وسمى أهلهم، مثل أمير تمبكت ابن القاند أبي بكر وشيخنا مولاي عبد القادر بن السنوسي.، وذكر أنه رد لأهل ولاتة ماغنم المسلمون به من أموالهم، حين ساروا إلى سغ وقد منعهم من ذلك.

أما زهده وإعراضه عن الدنيا فقد ذكر عنه أن جميع لباسه من عمامة ورداء وقميص وإزار ونعل لا يساوى الجميع سبعة دنانير مع ما أتاه الله من خزائن الارض وملكها.

وذكر أنه كان يقول " الجوع أنفع لى من الشبع فإذاشبعت ءاسن في جسدى.

الباب الثانى : في علمه وحلمه ، فقد ذكر أنه لا يتحدث في علم إلا قيل إنه لايحسن غيره سيما علم التوحيد والمعقول وقد كان يمزج مع علم الظاهر حين تعليمه، علوم الباطن ، أما علم الباطن المستمد من الانوار الاهية فهو قطب رحماه وشمس ضحاه،

وقد استدل بالأيات قال تعالى "واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل عليم "، أما حلمه فإنه لا ينتقم لنفسه وكان يسمح لتلاميذه ماكان يصدر منهم من سوء الادب ولا يغضب.

الباب الثالث: في بعض شمائله: فقد كان متوسطا فيي جميع أموره حتى في الاكل وكان لا يكبر اللقمة ولايصغرها بل يوسطها . ولايرفع صوته ولايخافت به ولايقطع على أحد حديثه وكان قليل النوم ،وقد عيب يوما في قلة نومه فقال:"مالى وللنوم إن نمت نهارا ضاعت الرعية وإن نمت ليلا ضيعت نفسى " وكان إذا قام لصلاة كأنه عود منصوب لما يعتريه فيها من الخشوع.

الباب الرابع: في علو همته: فقد كان لايأنس بأحد ولايقبل جائزة الملوك ولاهدايا المتحاكمين بل كان انشغاله بالله وحده إليه همته ،ونقل في ذلك ما قال أبو العباس المرسي "مارأيت العز

إلافي رفع الهمة عن الخلق."

الباب الخامس : في ورعه وصبره: فقد كان من أورع أهل زمانه فقد كان لا يقبل ما يأتيه من السلطان، يخاف خلطة الخلق ولايفعل منها إلا ماسلم من جميع الشوائب، أما صبره فقد كان يحسن إلى من أساء إليه حتى صار كل من ينكر عليه يقرون بفضله وعلمه.

الباب السادس: في بعض مناقبه المشاهدة: منها أنه كان يختفي عن الاعداء فلا يروه ويشفى المريض بدعائه وريقته سريعا وأنه كان قبل ولايته يدخل تحت الشجرة ذات شوك فترتفع عنه أغصانها ويظل ينظر كتابه فإذاخرج منها عادت كما كانت ومنها أنه كان ينتظر كتابه في الجو والسماء تمطر فما تقع عليه ولاعلى قرطاسه قطرة ماء..

الباب السابع: ما مدح به في حياته من أشعار: ومن هذه الأمداح قصائد بعثها أهل ولاته إلى الامير أحمد فقد قال المؤلف:

"ومنها ثلاث قصائد التى بينت ما للشيخ من محامد أرسلها إليه أهل ولاته،لكنى لا أنقل منها إلا ما للشيخ فيها من الثناء فأقول وفي الاولى:

وأنت أكرم وال زان سيرته
عدل وهدى وإحسان به اقترنا
أنت الامام الذي شاعت عدالته
فعده الناس مأمون ومؤتمنا
أنت الجواد الذي عمت نوافله
تنيل شانئك المثمون والثمنا
أحببت دين الهدي في كل منزلة
فيها طوائف ممن يعبد الوثنا
فأصبح الدين فيها ساميا صعدا
مستوليا منعة مستعليا قننا
وأدبر الشرك حتي ماله أثر
كأنه قط لم يكن فيها عننا
وكم قرى للهدى أسستهن على
تقوى الاله الذي أحيي بك السننا
عمرتها بعلوم الشرع تدرسها
حتى تعلمها البادي ومن قطنا
وبالمساجد فيها العاكفون على
تسبيح ربهم قد هاجروا الوسنا
وبالجهاد لإعلاء الشريعة لا
لغير ذاك كما من حالكم زكنا
أبقاك مولاك للدين الذي أرتفعت
أعلامه حتي أومن الفتنا
وللدنيا توفيها مصالحها
حتي تطيب ويغدو حالها حسنا
وللعيال عيال الله توسعهمعدلا
ورفقا وتجلوا عنهم الشحنا
تكفيهم كل عدوان ومظلمة
حرصا عليهم وتنفي الهم والحزنا
تشفيهم إن شكوا خطبا ألم بهم
ولست تخذلهم سرا ولا علنا

الثانية:

حق علينا لهذا الملك إذعان
لأن شيمته عدل وإحسان
أعطي الإمارة لما أن تقلدها
عدلا به عرشه المنصور ملكان
في الله جاهد أهل الكفر منتصرا
بالله حتي علاهم منه سلطان
قاد النفوس إلي مافيه مصلحة

لها وجنبها مفيه خســـــران
له علي الناس في تدبير أمرهـم
مكيال شرع وميزان وديـــوان
عليهم دينهم يرعى وأنفســـهم
والعرض والمال دأبا حيثما كانوا
يمضي الأمور علي شرع يؤازره
عزم وحزم وتوفيق وعـــرفان
إذا يقوم خطيبا فوق منبـــــره
تنقاد للحق أجهال وعـــميان
يخافه الظلم لايثوي بساحتـــــه
ويختشى أرضه جور وطغيان

إلي قوله:

وخالف وغريق ضاق مذهبه
به وعان ولهفان وحيران

وفي الثالثة:

سلام محب وده متـــــقادم
عليك به صاف المودة قادم
يماسيك إجلالا ويأتيك بكـــرة
ويلقاك في إتيانه وهو باسم
وبعد فأنت اليوم وال محكـــم
لعلك ولتك العلى والمكارم
وليت أمور الناس وهي عظيمة
وتزخر قما للعظيم العظائم
وقمت لأمر الدين تبغي عـــلوه
قيام هدى ماقامه قبل قائـم
وكنت أبا للمسلمين تسوسهـــم
سياسة بر لم تقده المغانـــم

وقد مدحه كذلك محمد بن طاهر.

الخاتمة:في تاريخ وفاته ومراثيه:

أما وفاتـه رضي اللـه عنـه فقد كانت في ربيع الأول يوم الجمعة الثاني عشر منه سنة إحدى وستين ومائتين بعد الألف وكان عمره إحدى وسبعين سنة.

أما مراثيه فقد رثاه صاحب الترجمة بقصيدة مطلعها:

حق البكا بدم كالودق منسجم
لفقد من فاق في علم وفي كرم
وفي جهاد وفي حلم وفي ورع
وفي تصرف أموال إلي الأمم

وقد رثاه أبوبكر بن باب الماسني وأحمد بن محم كرل.

آخر الكتاب:(أنتهى ماأردت جمعه من هذا الكتاب والحمد لله الكريم الوهاب والصلاة والسلام على النبي الأواب وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسانن إلى يوم المآب فرغت منه عند الضحى في يوم الإثنين السابع والعشرونن من ربيع الآخر سنة إحدى وستين ومائتين بعد الألف .....والحمد لله رب العالمين.

تم الكتاب بحمد الله ذي الطول والغفرانن والصلاة والسلام على من زخرفت له الجنان على يد أحوج العباد إلى عفو ربه المنان أحمد بن أبي بكر بن سنوه.

ملاحظات عن الكتاب:

*النسخة التي أطلعت عليها من المخطوط نسخة مصدرها الباحث الفرنسي/برنارد سالفينك/مركز البحث الإفريقي في باريس.

*يقع المخطوط في 25صفحة كتب بخط مغربي سوداني.

*تاريخ التأليف:الإثنين 27ربيع الأخير

1261هـ.

*الناسخ:أحمد بن أبي بكر سنوه.

*مؤلف الكتاب:محمد بن علي الفلاني كان حيا سنة 1278هـ.

*آثاره -:فتح الصمد في ذكر شئ من أخلاق أحمد.
-قصيدة في آخر الكتاب يرثي بها أحمد.
-كتاب مواعظ الفلاني تم تأليفه سنة 1278

*أما المترجم عنه (شيخنا أحمد) فهو أمير المؤمنين الخليفة أحمد بن محمد بن أبي بكر الفلاني (1190-1261هـ) ورد إسمه كاملا في رثاء محمد بن علي بقوله:

أعني به أحمدا من نجل سيدنا
محمد بن أبي بكر ذوى الحرم

ولقد توفى رضي الله عنه في ربيع الأول يوم الجمعة الثاني عشر من سنة إحدى وستين ومائتيين بعد الألف وكان عمره إحدى وسبعين سنة.

*المخطوط نص واحد مسلسل ومتكامل من بدايته إلي نهايته وهو مؤلف واحد هو محمد بن علي الفلاني.

*علاقة الولاتيين بالكتاب لايتجاوز القصائد التي مدح بها الولاتيون المترجم له (أحمد)

*وسبب هذه المدائح هو ماتقدم في الباب الأول من الكتاب من كون الأمير أحمد الممدوح قد أعاد لأهل ولاته بعض الأموال الجزيلة التي أخذت منهم.

*ولم يرد في الكتاب إسم أي أحد من أهل ولاته لأن القصائد لم تنسب إلي قائلها وإنما نسبت لأهل ولاته عموما.

*لقد حاولت في تقديم المخطوط نقل قصائد أهل ولاته كاملة وأستطعت قراءتها ما عدا أربعة أبيات من آخر القصيدة الثانية تعذرت علي قراءتها.

*لم يعد هناك إشكال في علاقة أهل ولاته بالأمير أحمد بعدما علمنا أنه كان يحسن إليهم.

*ذكرت في الكتاب أسماء مواضيع تحتاج إلي مزيد من الكشف عنها وهي:سغ - قرية - أرنيد.

*لقد بحثت في كثيرا من المصادر التي كتبت في هذه الفترة ولم أعثر علي غير المعلومات الواردة في الكتاب.

*لم نستفد معلومات جديدة عن الكتاب ومؤلفه إلا ماوجدت في فهرسة مخطوطات دار الوثائق النيجرية.

المصادر:

-مخطوط فتح الصمد في ذكر شئ من أخلاق شيخنا أحمد.
-
فهرست مخطوطات دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا.

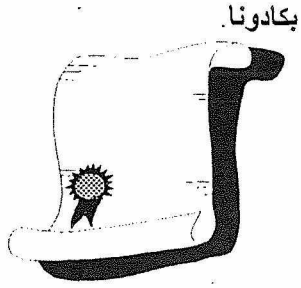

الطب التقليدي
ماله وماعليه

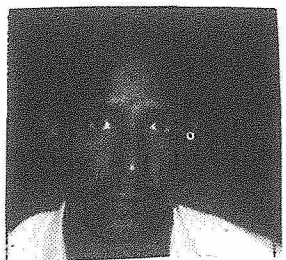

د. عبد الله بن محمد [illegible]جي
طبيب عام بالمركز الوطني للوقاية
انواكشوط.

في إطار معرض التراث الطبي الموريتاني الأول، طلب مني ان أقدم مداخلة ضمن الطاولة المستديرة التي ستجمع حولها أطباء تقليديين وعصريين إضافة الى باحثين اجتماعيين، فكانت هذه السطور.

لاشك أن الإفتقار للمعطيات الأساسية من تحقيق و توثيق وإحصائيات حول الممارسة التقليدية عندنا ستقلل إلى حد كبير من القيمة العلمية لمجموعة الآراء هذه، خصوصا وأنها تتناول تلك الممارسة بشيء من النقد، وان كنت سأحاول ان أتجنب تقديم الموضوع على أنه مناظرة بين الطب التقليدي والحديث وذلك لاعتقادي أن الأمر لا يتعلق بمعرفة ما إذا كان الطب التقليدي نافعا أم لا أو بما هو نافع منه أو ضار بل يتعلق الأمر أساسا بمحاولة فهم موضوعي لهذا الشكل من النشاط البشري في صورته الحالية وذلك من أجل الاستفادة من امكانياته وتوظيف خصوصياته في إطار السياسة الصحية العامة على ان يتم في نفس الوقت تقنين هذه الممارسة وإخضاعها للمسطرة العلمية.

وفيما يلي استعراض لبعض أوجه ومميزات الممارسة التقليدية في إطار نقدي تحليلي.

I- العامل التاريخي:

قبل زمن ليس بعيدا كانت الممارسة الطبية في شكلها التقليدي هي الخيار الوحيد المتاح في مجتمعنا لحل جميع المشاكل الصحية شأنه في ذلك شأن بقية أوجه النشاط البشري الذي تمليه وتحدده ظروف البيئة ومشاكل الإنسان من غذاء، ومأوى، وصحة ومرض.

ولا شك أن تلك الممارسة، وفي ذلك الزمن، كانت تقدم حلولا ناجعة نسبيا لمجمل المشاكل الصحية في ذلك الوقت.

ولم تعرف الممارسة الطبية في شكلها الحديث طريقها الى مجتمعنا إلا في العقود القليلة الماضية.

ولعل حداثة عهدنا بهذا الشكل من الممارسة، إضافة إلى إرتباط وروده إلينا بالإستعمار، يفسر، على الأقل جزئيا، العقبات العديدة التي واجهت -ولا تزال- محاولة تعميم هذا النوع من الممارسة في مجتمع يجدنفسه غريبا تماما في تعامله مع هذا الشكل من الطب سواء تعلق الأمر بالأسلوب أو بالوسائل أو بالشكل. وهكذا، يمكن الإفتراض، ان الغرابة في أسلوب ووسائل الطب الحديث، إضافة إلى عوامل أخرى، تفسر من ناحية العديد من إخفاقات الطب الحديث. كما قد تفسر من ناحية أخرى نجاحات الممارسة التقليدية، على الأقل في إستقطاب جزء كبير من المجتمع الذي يجد نفسه وبيئته ووسائله في تعامله مع الطبيب التقليدي. وإلى أن يألف المجتمع ويتمثل الطب الحديث في أسلوبه ووسائله وشكله،وهي مسألة تأخذ قدرا من الوقت، يبقى إبتعاد الممارسة عن واقع المجتمع من أهم معوقات نجاحها.

II- عامل التجربة:

اعتمد الممارس التقليدي في تعامله مع الأمراض على التجارب سواء أكان ذلك في علاجها أو في التعرف عليها. ولا ينفي ذلك وجود معلومات نظرية منقولة عن الآخرين، غير أن شروط البيئة قد لا تسمح له بتطبيق

تلك المعلومات أو استخدام تلك المواد المنقولة عن طبيب في بنة أخرى مثلا. وهكذا يجد الممارس نفسه مجبرا على البحث عن بدائل محلية قد لا توجد دائما مما قد يتمخض عن ابتكارات وتطوير وتكييف للوسائل والعلاج ستصقلها الممارسة في المستقبل.

وهكذا فإن الممارس التقليدي باحتكاكه مع الأمراض وشح وسائل التشخيص والمعالجة يكتشف ويطور عددا كبيرا من المواد <<الدوائية»الخام وكما مماثلا من التجارب العلاجية، التي تستحق الإهتمام اليوم في إطار من البحث العلمي الجاد إذا توفرت الإمكانيات البشرية والمادية الضرورية لذلك ويجب ان لا يغيب عن الأذهان أن معظم الإكتشافات الهامة في الطب جاءت بناء على تطوير واستفادة من تجارب سابقة.

III- عامل الأسس والمبادئ:

إن الأسس والمبادئ التي ينطلق منها الطب التقليدي ترجع في جذورها إلى الطب اليوناني القديم فلا يزال مفهوم العناصر والأخلاط ساندا اليوم عند الأطباء التقليديين.

وما الطبائع (البرودة والحرارة...) السائدة اليوم إلا شكلا من إسقاطات مبادئ أبوقراط التي تقادمت اليوم وثبتت سطحيتها وقصورها الشديد عن فهم التبدلات المرضية التي تطرأ على جسم الإنسان. على أن أهمية الموضوع تتعدى مجرد التصنيف إلى ما يترتب على ذلك من علاج وربما وقاية.

فإذا ما تم تصنيف مرض ما على أنه "مَرَضْ أبْرُودْ» مثلا فإن المعالجة المقترحة لهذا الداء قد تكون هي نفسها لمئات الأمراض الأخرى التي تصنف في خانة «لبرود».

كما أن تشخيص "طبيعة لبرود» مثلا عند شخص ما يترتب عليه مجموعة من الاجراءات الوقائية» في المستقبل قد تؤثر عميقا في نمط حياة هذا الشخص كما هو الحال مثلا: في تعامله مع الماء أو مع بعض الأغذية التي تعتبر «ضارة» لمن طبيعته هذه...

وهكذا فإن الطبائع لا يمكن ان تفسر الكم اللامتناهي من الأمراض التي تنتج عن عوامل متنوعة جدا وبالتالي تتطلب معالجة مختلفة باختلاف هذه العوامل المسببة.

فإذا افترضنا أن مريضا أصيب بمرض جرثومي أو فيروسي ما، وكان من أعراض هذ المرض مجموعة من الأعراض التي تصنف على أنها (ابرود) كالسعال مثلا والرشح، والتهاب الملتحمة في العين إضافة إلى الحمى (أعراض الحصباء ، "بوحيمرون" فإن هذا المريض، وبناء على تصنيف الطبائع سيعالج بالتدفئة الشديدة (التغطية، وسد منافذ الرياح في الغرفة) وكذلك بتحديد السوائل والتغذية وهي أمور ثبت أنها تزيد الداء شدة وقد تؤدي إلى الوفاة. ومقابل هذا التصنيف التبسيطي للأمراض نلاحظ غياب العلوم الأساسية للطب من تشريح وفيزيولوجيا وميكروبيولوجيا وغيرها...

فعلم الفيزيولوجيا، أو علم وظائف الأعضاء، لاغنى عنه في معرفة وظيفة كل جزء من أجزاء الجسم والطريقة التي يؤدي بها عمله وكذلك علاقته الوظيفية مع باقي أجزاء الجسم، فبدون هذا العلم يصعب التمييز بين الحالة الفيزيولوجية الطبيعية والحالة الطارئة المرضية.

كما أن علم التشريح يبحث في مختلف مكونات البدن وعلاقاتها بعضها مع البعض، وغني عن الذكر أن أي مداخلة جراحية على أي جزء من البدن تتطلب معرفة دقيقة بتشريح تلك الناحية تفاديا لاختلاطات قد تكون قاتلة أو معوقة، كإصابة شريان او عصب مثلا...

وكذلك علم الميكربيولوجيا، الذي يبحث في الحياة في مقاييسها الخلوية.

إن التأثر بين العضوية (الجسم) والأحياء الدقيقة من جراثيم وفيروسات، وطفيليات، وتطوره ليشكل جانبا هاما من أمراض الإنسان، خاصة في الدول السائرة في طريق النمو، وهو ما يعرف اليوم في الطب باسم "الأمراض الإنتانية".

وتأتي أهمية هذه الامراض من كونها قابلة للإنتشار بين البشر (العدوى) على شكل أوبئة ومن كونها لا تزال القاتل الأول عندنا.

وهكذا فإن التعامل مع هذا الجزء الهام من أمراض الإنسان يتطلب دون شك معرفة بالحياة الطبيعية لهذه الأحياء الدقيقة الممرضة للإنسان والتبدلات المرضية التي تحدثها في جسم الإنسان ووسائل التعرف عليها وبالتالي معالجتها والوقاية منها.

فمن الواضح إذن أن أي ممارسة طبية يغيب فيها مفهوم الأحياء الدقيقة الممرضة، تستغفل جزء هاما من أمراض البشر، خاصة إذا ما علمنا أن هذه الأمراض منتشرة عندنا، وأنها مسؤولة عن العدد الأكبر من الوفيات وأن معظمها يعنو للمعالجة بالمضادات الحيوية.

IV- عامل الأسلوب:

يعتمد الممارس التقليدي، في تطوير معارفه وخصوصا العلاجية منها، على أسلوب التجربة المبسطة التي تكتفي في الغالب بالمظاهر السطحية للموضوع مما يحد كثيرا من قيمة هذه التجارب وبالتالي من قيمة النتائج العلاجية المستخلصة منها وفي هذا الصدد يمكن ابداء الملاحظات التالية:

-أ- غياب الدقة في المقاييس والثوابت:

وهو من الشروط الانسانية لأي تجربة فإذا أريد مثلا إختيار فعالية دواء ما على مرض ما فيجب أولا تحديد المعايير المستخدمة في تشخيص المرض وذلك لتفادي إدخال أمراض أخرى مشابهة للمرض موضوع التجربة كما تحدد معايير الشفاء ويجب أن تكون قابلة للقياس.

ومن ناحية المادة الدوائية يجب تحديد الجرعات بدقة بحيث تعرف الجرعة العلاجية أو الجرعة السمية. كما تحدد الآثار السمية للمادة وبالتالي موانع إستخدامها وإستخداماتها.

وغني عن الذكر أن القيام بمثل هذا العمل يتطلب معرفة جيدة بالعلوم الطبية بشكل عام بالمجال الذي يتم البحث في إطاره، ففي مجال الأدوية مثلا يجب أن يكون للباحث إلمام بمبادئ الأدوية من حيث : الشكل الصيدلي الذي تقدم فيه المادة للمريض: أقراص، شراب، حقن، مراهم... وبالتالي طرق إدخالها إلى الجسم: الفم، الحقن، الجلد...

-حركية المادة الدوائية في الجسم :

من حيث مكان الإمتصاص ونسبته، والإنتشار في العضوية وطرق تخلص الجسم من هذه الأدوية.

-تأثير المادة الدوائية : على جسم الإنسان بشكله العلاجي المرغوب فيه وشكله السمي المرغوب عنه...

-ب -المنهجية:

يغلب في الممارسة التقليدية أن تكون التجربة ونتائجها من أسرار الممارس التي يحرص عليها، فنادرا ما يطلع الآخرين على أسلوب التجربة ومعطياتها بل يكتفي بتقديم النتائج الجاهزة للتجربة.

وفي مجال التجريب العلمي يشترط في الباحث أن يتبع أسلوبا منهجيا واضحا يمكن لجميع أن يطلعوا عليه وغالبا ما يكون هذا الأسلوب محددا بقانون منظم يضمن شفافية البحث وإمكانية تقييمه ويحمي الناس من عواقب التقصير أو الإهمال المحتملة.

وفي معظم دول العالم توجد لجان علمية يحدد القانون المؤهلات العلمية لأفرادها وينظم عملها، الذي يتمثل أساسا في دراسة جدوائية البحث والتأكد من أن الباحث يتقيد بالشروط المحددة في هذا المجال كما يحمي الأشخاص الذين يخضعون للتجربة من آثار تجريب الأدوية...

-ج-تحليل وتفسير نتائج التجربة :

تتطلب هذه المرحلة، كباقي مراحل التجريب العلمي معرفة دقيقة بوسائل التحليل من علوم إحصائية ووبائية، كما تتطلب معرفة كيف نستبعد بعض العوامل الخارجية التي تؤثر في نتائج التجربة.

وفي هذا الصدد أود أن أشير إلى ظاهرتين مهمتين قد يؤدي إغفالهما إلى اخطاء فادحة في تفسير نتائج التجارب العلاجية.

-أ- ظاهرة البلاسيبو Placebo :

وتتمثل في الحصول على نتائج علاجية بعد إستخدام مادة خاملة تملك أي تأثير دوائي، على أن تقدم للمريض موضوع التجربة، على أنها دواء يحمل نفس المواصفات الشكلية للمادة الدوائية المجربة.

ويعتقد أن سبب الحصول على هذه النتائج العلاجية ترجع أساسا إلى عوامل نفسية بدنية.

وقد تصل نسب فعالية العلاج بالبلاسيبو إلى 20٪ من بعض الحالات.

ومن المتعارف عليه اليوم، مقارنة المادة الدوائية المراد إختيارها، بمادة خاملة دوائيا (البلاسيبو) وإعطاؤها

للمرضى، دون أن يكونوا على علم بها ومقارنة نتائج علاج كل من البلاسيبو والمادة المختبرة. ومنطقي في هذه الحالة أن يكون للمادة الدوائية تأثير أكبر من تأثير البلاسيبو، لكي يكون لإستخدامها مبرر. هذا ويمكن لهذه الظاهرة أن تفسر عددا من حالات النجاح الظاهري للعديد من المواد المستخدمة في المعالجة التقليدية.

ب- التراجع التلقائي لبعض الأمراض:

إن المسار التطوري للأمراض يختلف من مرض إلى آخر، وبشكل عام نميز: التطور العفوي بدون أي تدخل والتطور تحت العلاجات المختلفة.

فقد يكون المرض يسير نحو الموت بغض النظر عن الأساليب العلاجية كما هو الحال في العديد من السرطانات وبعض الأمراض الفيروسية (سيدا Sida)

وقد يتميز المرض بظهور إختلاطات تعرقل سيره وقد تكون هذه الإختلاطات أخطر من المرض نفسه وقد يكون تطور المرض تحت علاج معين نحو الشفاء التام.

ولكن يمكن أيضا في أحيان كثيرة أن يكون المسار العادي والطبيعي للمرض نحو الشفاء العفوي حتى بدون أي تدخل.

فمن المعروف مثلا أن معظم حالات إلتهاب الكبد من النوع (A) تتطور نحو الشفاء العفوي حتى بدون أي علاج.

V- عامل الوسائل:

إن تعدد الأمراض وتنوعها وتشابهها في الأعراض والمظاهر يطرح مشكلة التشخيص وهي أهم مرحلة في العناية الصحية بالمريض، ولا شك أن معرفة المظاهر المختلفة لكل مرض على حدة ومعرفة العلامات الفارقة بينه وبين بقية الأمراض التي قد تبدي تشابها في الأعراض معه، تعتبر الخطوة الأولى والأساسية في التشخيص، ولكن التشابه قد يكون من الشدة بحيث

يصعب التفريق بين مرض وآخر على أساس الأعراض فقط، ومن هنا تأتي أهمية الوسائل الطبية التي تكمل خبرة الطبيب وتقلل من عامل الخطإ، كما أن لها فوائد أخرى في المراقبة والمتابعة، إضافة إلى ما تقدمه في مجال البحث العلمي المستمر.

وقد بلغ تطور هذه الوسائل اليوم في الدول المتقدمة حدا أصبح معه دور الطبيب يتقلص تدريجيا ربما ليختصر في المستقبل في تنسيق نتائج التحاليل وتوجيه المريض إلى التحاليل أو العلاجات الملائمة.

كل ذلك للتدليل على أن الممارسة اليوم بدون تسهيلات من المخبر والأشعة وغيرها، ستكون صعبة جدا مهما تكن معلومات الطبيب، كما ستكون حتما قاصرة في العديد من الحالات عن التشخيص الصحيح وبالتالي العلاج المناسب

VI- الخلاصة

لا أعتقد اليوم بوجود مسوغ للإعتقاد أن الممارسة التقليدية في شكلها الحاضر يمكن إعتمادها أسلوبا للتداوي.

كل ما في الأمر أن هناك واقعا يجب التعامل معه يتمثل في إستمرار عدد ليس باليسير من مواطنينا في تعاطي هذا النوع من العلاج وربما تفضيله على الممارسة في شكلها الحديث.

فدراسة هذا الواقع وفهم الطب التقليدي قد يمكن من توظيفه والإستفادة منه في إطار السياسة الصحية العامة للبلد.

وهكذا فقد كانت الممارسة التقليدية بدون شك حلقة مهمة في مسار تطور العلوم الطبية عندنا، بقي أن نعرف اليوم كيف نستفيد من هذا التراث الطبي.

الأم تدخن والجنين يدفع الثمن

د محمد فاروق حسن
أخصائي أمراض النساء والتوليد والعقم
عيادة الصفاء/ نواكشوط

سيدتي قبل أن تدخني أنظري جيدا كم تدفعين ثمنا من عمرك وعمر جنينك مقابل دخان لافائدة منه؟ فقد ثبت علميا أن النساء المدخنات تقل الخصوبة عندهن كثيرا عن غير المدخنات،وذلك لما للتدخين من اثار على الدورة الدموية في الجسم عمومه، بما فيها الدورة الدموية للمبيضين والجهاز التناسلي مما يضر بقدرة المرأة على الانجاب.

ولذلك فإننا أثناء الحمل ننصح كل أم مدخنة أن تنقطع فورا عن التدخين،لأنها لاتعلم ما يحدث في أحشائها لجنينها الذي تغذيه من دمها،

وهذا الغذاء يحمل معه النيكوتين الذي ينشأ عن أحتراق تبغ ــ السجائر ويدخل دم الطفل عن طريق المشيمة، المسؤولة عن توصيل الأكسوجين والغذاء إلى الجنين في بطن أمه .

فالأم في فترة الحمل،إذا كانت مدخنة فهي تهدى جنينها أضرار التدخين،وهو مازال في أحشائها،فالنيكوتين يؤدى إلى إنقباض الأوعية الدموية الموصلة للأكسوجين والغذاء بالمشيمة،مما يسبب نقص كمية الأكسوجين،وكمية الأغذية التي تصل الجنين،وفي بعض الأحوال يؤدى انقباض هذه الشرايين إلى إنفصال المشيمة من جدار الرحم،وحدوث نزيف قبل الولادة مما يهدد حياة الأم والجنين

وقد يؤدى إنقباض الأوعية الدموية بالمشيمة إلى خمود بعض الأعضاء المهمة التي لم يكتمل نموها في الجنين وخاصة المخ،مما قد تنتج عنه ولادة طفل مصاب بضمور في المخ، ينشأ عنه تأخر في النمو العقلي والجسماني.

ومن مساوئ التدخين أثناء الحمل،أنه قد يؤدى إلى حدوث الإجهاض المتكرر،أو الولادة المبكرة { قبل الميعاد }،أو إزدياد نسبة نشوهات الأجنة.

وقد ثبت علميا بأن وزن أطفال السيدات المدخنات،يقل كثيرا عن الوزن العادي،وذلك عند ولادتهم،نتيجة لصغر حجمهم،وصغر حجم أعضائهم،لأن نموهم داخل الرحم كان أقل من المعتاد.

ويبقى هؤلاء الأطفال بعد ولادتهم عرضة للأصابة بكثير من الأمراض لنقص مناعتهم الطبيعية.

وإذا تمت الولادة وكان الطفل بصحة جيدة،وأستمرت الأم في التدخين،فذلك معناه أن هذه الأم تعطي لطفلها كل يوم،ما يعادل 80 في المئة مما تدخنه،وهو مازال في مهده،أي أنه ينمو في جو مسمم مثل زرع أخضر حرم من الهواء والضوء،إن التدخين ليس له أية إيجابيات مقارنة بأضراره الكثيرة، فهو عادة سيئة،ولذا ننصح السيدات بالإقلاع عنه فورا وهو أمر يعود لقوة الإرادة حتى ينشأ أطفالنا في صحة جيدة وبعقول سليمة تفتح الطريق إلى مستقبل أفضل وأرحب.

حجر لقمان

شعر :
أحمد ولد عبد القادر

طرقت مدائن الشرق
والغرب ،
ركبت صحون الرياح،
أبحث عن حجر
ضاع آخر أيام لقمان ..
لؤلؤةٍ عُصبت بحرير
السماء .
• • •
دخلت القلاع
ولم يبق قبو ولامنفذ
في الطلول القديمة ،
إلا نثرت إليه الضياء
ولو قل ..
ترامیت بين ظلالي زمانا
ورصّعت (تغريبتي)
وشبّابتي
بحروف عسى ولعلّ ..
فما كنت إلا ذرة من
هباء
ترنح صوب النوافذ
بأحثة
عن أي خيوط من النور
تسحبها
إلى الأفق الأرحب ..
• • •
تغربت ...
حتى اقتحمت معابد التبت
والهند والهملايا ،
سكنت مخارمها
والصين
التصقت بجدرانها وأبراجها
زمنا ..
وفي سفري تأملت جبهة بوذا
طويلا ...
وعينيه ولحيته لم أجد
شبها قاطعا بينها
ولحية شيخي في (محضرة)
الأهل ..
• • •
سرنديب تعرفني
ذاهبا ، آئبا
من طريق الحرير القديمة
إلى حيث كانت
مقالع اللؤلؤ تحت المغارات .
• • •
صنعاء يعرب
أرواح مأرب
تنسبني لها ولدا
هاجر آباؤه
إلى الواق واق
وفي شارع (نبّارة) فاس العتيقة
سامرت الشيوخ المسنين
الرواة الثقاة ،
فلم ينبؤوني عن الحجر
المختفي
وأذنت فوق جميع المنارات ،
وقعت أمداد الأذان
على وتر (الرصد) و(الكانكان)
مارست رقص الدراويش
بين الزوايا المهيبة
وعبر حميا الهيام الفناء ،
نرفانة الحب لا تنقضي
سألتهم عن الحجر الغائب ؟
قالوا :
إذا كنت تبغيه
فهو القريب إليك ...
فمت أولا :
لتبصره ،
ومت ثانيا :
لتمسكه ،
ومت ثالثا لتحيا الصبابة ..
• • •
وزرت نوادي المحبين
في العُدوة الثانية
وجدتهم يخدعون الموت
بالشرب
يضّاحكون بلا وازع
وأكوابهم مشعشعة
تقارع مابينها
وقد فاض منها
نزيف من الحبّ
آسنهِ والمعين
فبعض الكؤوس
زلال ،
وبعض الكؤوس
أجاج ،
وبعض الكؤوس
مدام ،
وفي بعضها صديد ؛
يمازجه قذى وطحالب
على أنهم يملؤون الكؤوس
من مغرف واحد !
سكرت من الخوف ،
هربت بعيدا الى ظلي الآخر ،
ولكنني لم أخدع الموت
بالشرب
وأعجبه أنني لا أخادعه ،
وللموت :
صولته إذا جد ،
وصولته إذا ما توقعته ،
قبل وعد اللقاء ؛
وللموت
وعي رياضي
فيحترم اللاعبين
إثر هزيمتهم ..
• • •
مشيت على مهلي ،
غزلت دخان المسافات جسرا
عبرت عليه جميع المحيطات
إلى أن وصلت صحاري الجليد
تعبد الله نائمة ،
بدأت أسأل نورس الثلج ..

فقال :
أأنت الذي ينشد الحجر
الأندر ؟
لك البشر والظفر المستبان ..
قلت : ظفرت ؟
قال : انتظر ،
هو الحجر الأندر لؤلؤة
من فَطَرِ الشمس
سقطت فجر صبح الحياة
في كف آدم ، أوكف حواء ؟
عد إلى أرضك الآن
وارصد شواطئها
سيلقاك نورس البحر
يعطيك لغز الحقيقة ..
أنا نورس الثلج
لا أملك حق الإجابة .
• • •
وعدت سبيلي ،
أعد الشهور على خطواتي
دليلا ،
وأبتلع الزمن البارد
زادا ..
إلى أن وصلت الشواطئ
والشمس ،
قابلني نورس البحر مبتهجا ،
تطاوس حولي مليا ،
وأحسست في عينه ألفة ،
كأني ، رآني من قبل
قلت له :

إنني قادم ..
فقال انتظر ..
كل الحقيقة أن النوارس
تمضي إلى الثلج صيفا
وتأوي الى البحر شتاء...
بعض الحقيقة
أنى لقيتك في الثلج يوما ..
نثرنا قليلا من الكلم الأبيض
واليوم تملكني
نشوة الكلم الأزرق
كل الحقيقة :
أن الطيور تهاجر ..
• • •
ودعني النورس
يبري جناحيه صعودا
ليملأ في سربه ثغرة
ويبدأ رحلة الصيف
الى الثلج ..
انحبست على الشاطئ
القرّحي ،
وحيدا بلا صاحب ،
طريدا ولا أعرف الذنب !
دبت أصابعي العشر ،
عبّأت كل الأظافر
وانغرست في تربة الشاطئ
تنهبها ، تُشقلبها ..
حفرت خنادق مثنى، ثلاثى،
جمعت التراب الجميل
المهيل على ركبتي ،
تذكرت ألعاب الطفولة

آبارها ، جمالا من الطين
تسقى من البير بين الأصابع .
عمقت بعض الخنادق .
ارتمى نظرى الى أسفل العمق
..
سألت المحارات :
أين القواقع ؟
سألت القواقع :
أين المحارات ؟
هل بينها حجر نائم ؟
وكيف أتى ؟
هل له من رفيق ؟
• • •
وهبت رياح (الكنارى)
من الغرب عاصفة
على حفري بغتة ..
وانثرت زبدا شعثا
وأعشاب مرجان
مهشمة
قادمة من الجزر البعيدة ..
كنت ساكنها مرة
أذكر الآن رائحة طلع
نباتاتها
ونكهة أحجارها .
• • •
وغنيت للموج يصفعني
وللريح تطردني
فكان الغناء طريقى :
ياهاجر البحر !
هذا أمامك الآن

بحر الرمال ..
فاعبره كما شئت
واحذر !
هذي المجابات
عنقاؤها مخصب
يَلِدُ العطش المزمن
في قلب عابرها ..
مشيت على ركبتي ..
حبوت سبحت
وهرولت في منحدرات الوهاد
• • •
لقيت السناجب تلهو وتمرح
جائعة ،
وأذنابها من ذهب..
ويركبها الحلم الأكبر
إن تنبت أجسادها الريش
أجنحة تطير بها للسماء ،
لتحفر بين المجرات جحورا
لأحفادها ،
لتمتهن الركل ، والبصق ،
والبول ؛ فوق النجوم
المضيئة...
وبعض الثعالب
ترعى قطيع السناجب ،
تلعق آثار أقدامها ،
تشاركها حلمها في السما ؟
أو تفوز منها بصيد هزيل ؟
بحار الصحاري مجلجلة
في سكينتها :
الحوت يبتلع الحوت

والموج واحد
والقرش يفترس القرش
والطبع واحد
وفي مفرش الجدب
لا تعبد الأرض
إلا مخالبها
ودم الآخر عِلقٌ نفيس ،
إذا سال منه إليك
وصيد سمين إذا سال
منك إليه
• • •
مررت على جبل صائم في العرا
تشامخ عن ثبج الرمل ،
وصادفت زوجا
من الرخم الأبيض
يبني عُشيشا لأفراخه
على شُعب القمة
وترمقه من السفح
ثعالب غرثى ،
تشمشم أعلى
وتحك أذيالها
بانيابها طمعا .
• • •
لأن غزال البراري
يرى حكمة الله
في ألا يكون غزال الذئاب ،
لأن ذئاب البراري
ترى حكمة الله ناصعة ،
وجوهرها لامعا ،
في عظام غزال البراري ،

لأن أمومة الرخم الأبيض
أبوته
صادقة وحانية ،
رفعت بيضه والفراخ
إلى مسرح الصقر
والصقر أقرم ،
لئلا تكون طعاما
لأهل السفوح ،
تفاءلت شيئا
طربت قليلا
وأخرجت شبابتي
موسقت دمدمة الزمن الضائع
في سلم من الطرب
الأندلسي الشجي ،
والمقام (القنيدي) الفصيح
أفعمت شبابتي
فبكت
واسكتها فبُحت من الصمت
وأشعلتها في جبين الغروب
عاينت غول (الوفلي) يعدو
عدوت إليه
التحقت به ،
ورافقته إلى رحلتيه
جنوبا شمالا
وفي نغمتيه
(بياضا)، (سوادا)
وكنا زُوبعة من هبوب
الصحاري
نشاكس كل الدروب
ونغسلها بالهباء

وقد كنت أجري
خلفه مرة
وما كان أسرع مني
ولكنه ارتشف
النبع (الرجاطي) قبلي
ضاعت من القلب ألحانه
ولم يقبل النبع
أن يمنح السر
إلا لأول شارب .
• • •
تسللت بين الكهوف
انفردت داخلها متعبا
توسدت ريش الخفافيش
والبوم
يعطره رشح أبوالها
لحظة ، لحظة..
وأقنعت نفسي بالنوم
فما اقتنع النوم !
نهضت أجوب البراري
هائما..
وقفت على جبل (انكادي)
منتصبا في وادي نعمان
عرفت تضاريسه
وبت به مسائين أرثي شبابي
في ظله
على صمت شبابتي
وأسأله عن نشيد الرجال
أبناء المبارك
أين صداه ؟
وظل يغص بنِحنانه

واقفا
ولايتكلم
وسرت إلى النبع
في غيبة الغول
إلى أمه جنوبا ،
شربت ثلاثا
كما يفعل (الوفلي)
هبت على النبع أصداء
كهف بعيد :
سلام على الماء
يا راكب الموج انتبه
واستقم من الآن
في طريق القوافل
وافتح مغالق الرمل
إلى الحج
وانس هذا المساء .
• • •
أيها الشعراء الكرام
رجعت إليكم في طريقي
إلى الحج..
هل تذهبون ؟
هيا لننشد حظ لقمان
من فَطَر الشمس ،
هيا إلى الشرق
هيا نجرب نعنعة شاينا
الأخضر بسَعتر لبنان
ذاهب هذا الصباح
ولن أتريث..
سينطلق الركب من قلب
شنقيط ،

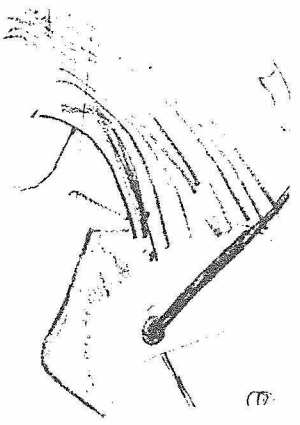

بين مغالق الرمل
شرقا ، وحي الميازب غربا ،
الزاد تمر وملح..
كلاب (النمادي) تعرف
رائحتي
رغم محنتها
وتشردها في الفلا ،
سترشدني إلى البير
المغطاة في الرمل بين القفار
مروري (بتندوف) عشرون
يوما وأجتازها ،
دليلي معي
دليلي أنا..
دليلي ينطح مطلع الشمس
ويحمل مغربها
على كتفيه ،
(سِجِلْماسُ) نجم الشمال
يساري ،
وادي (القدامس)
يبدو بعيدا قريبا
أمام يميني

* * *

ولي وقفة لدى الجبل الأخضر
أسأله عن (المشعلين)
وعن (موسى ليني) وجلوازه :
هل نهبوا الحجر الأندر
من الجبل الأخضر
تاجا لروما ؟
أم دفنوه مع الشيخ
المجاهد و ساروا ؟

* * *

سأنزل بالقدس
والقدس تأشرتي ،
براق النبي رمى
تحت مخدتها حجرا
وفي القدس تزهو
جميع القباب حجارة ،
وتبنى المآذن في مرتع
الرعد والبرق حجاره ،
ويرتضع الطفل ثدي الحجاره

* * *

سآتي دمشق ..
وهي تراهن أن طوق القرون
أكمل الدرع على جسمها ،
تراهن أن عناقيد جولاننا
من الماس الأكرم
وأن دواليه
من شجر العندم الأروع
ومن بَرَدَى دائما
تشرب الخيل
بعد كسب الرهان .

* * *

سأنزل بغدادَ ..
بغداد تبني بروج الرُّصافة
والكَرْخ أعلى فأعلى
وتضفي عباءتها
على بيضها والفراخ
فوق أعلى السطوح
لئلا تكون قديدا
لأهل الحضيض ،
وبغداد لم يقرأ الناس
كل دفاترها ،
ولم يدخل الأهل كل
سراديبها ..
(لِكَلْكَامس) وحده الحق ..
أن يسبر الجرح والكبريا
سأغسل روحي وأنشرها
على مشجب النهر ،
وأكوي تجاعيدها
بكل حجارة طوب
مسخنة في ماء دجلة ،
وأي محارة (خِز)
مبردة في ماء دجلة ،
لعلي عساي ..أرى حجرا
عانقَ الحجر الأندرا ؟
ولو قبل ألفِ سنين !
فإن لم أجده
فإن حنيني
وترامي ظلالي ما بينها
سيطول بي في الدروب !

* * *

أيها الشعراء ، القصائد
رجعت إليكم بعد طول الغياب
ألبس معطف السندباد
تحت ثيابي
وأرمي السنين على جنبات
الطريق ورائي
ذكرى معالم للسفر القادم ؟
وليس معي تحف تقتنى
للكبار هدية ،
ولا فرحة للصغار ،
ولكنني عائد
بأول درس حفظتَ ،
وآخر درس فهمت ،
تعلمت أني أنا
ولا يأس من رحمة الله
إلا لمن
لايرى ذاته .

الشاعر أحمد ولد عبد القادر
شاطئ (الرقيبه) بالمحيط الأطلسي
١٥ أكتوبر ١٩٩٥

répétiteur (cette tradition persiste encore aujourd'hui au Soudan et particulièrement chez les dignitaires religieux). Ils nous apprend cependant que le Mali avait une douane (les noirs) chargée de prélever un droit sur toutes les marchandises.

Les chameaux étaient les "wagons" des trains médiévaux

Le commerçant mauritanien du Moyen Age avait déjà inventé le train bien avant la mise au point de locomotives au début du XIXè siècle. Seulement les "wagons" médiévaux étaient les chameaux. Sobres par nature ces bêtes sont les véritables vainqueurs du Sahara. Leurs rôles dans l'adaptation des hommes à la désertification et à l'apparition du nomadisme est essentiel.

Les préparatifs de la mise sur pied d'une caravane sont toujours très longs, et peuvent s'étendre sur plusieurs semaines voire plusieurs mois. Ibn Battûta reste quatre mois à Sijilmassa à engraisser ses chameaux avant de se joindre à une caravane dirigée par un professionnel de la tribu Sanhajienne des Massûfa. La traversée de cet océan de sable qu'était le Sahara requérait une préparation minutieuse. Quelques trous non réparés dans les outres à eau pouvaient causer la perte de toute la caravane.

Une caravane comprenait en moyenne un millier de chameaux nous dit D.T. Niane et quelque centaines de personnes. D'autres sources font état de nombres beaucoup plus importants. Ibn Khaldûn parle de 12 000 chameaux pour la caravane annuelle qui va du Soudan vers l'Egypte Abdel Weddoud Ould Cheikh cite : "Sahihatû an-naqli ..." de Sidi Abdullah Ould Al-Hadj Brahim qui écrit <<qu'il est sorti un jour de Chinguitti une caravane de 32 000 chameaux chargés de sel, dont 20 000 appartenaient aux chinguittiens et 12 000 aux habitants de Tichitt>> Un explorateur français, Réné Caillié qui a visité Toumbouctou juste après le 1er quart du siècle dernier et qui a réussi à traverser le désert vers le Maroc, nous dit dans son "journal de voyage" que la caravane qu'il accompagnait comptait près de six cent chameaux à son départ de Toumbouctou. A Al-Arawâne, ce nombre grossit et parvient à 1400, tandis que celui des hommes était de 400. Bien sûr dès le 16è siècle les européens avaient trouvé d'autres voies pour commercer sans passer par le Sahara et sans intermédiaire avec les royaumes noirs (le commerce atlantique) mais le commerce caravanier n'en avait pas moins continué.

Quoique certains de ces chiffres peuvent nous paraître exagérés ils nous suggèrent cependant l'intensité de ce trafic caravanier. Jusqu'à une date récente (1950-1960) et avant que le camion ne pénètre partout nous avons pu observer de longues caravanes sillonnant le pays et particulièrement celles qui transportaient le sel d'idjil vers les autres régions du pays.

Conclusion :

L'espace mauritanien fut pendant des siècles un rouage essentiel du commerce transsaharien. Il en possédait quatre conditions fondamentales : le sel (Awlil et Idjil), l'or (Ghana, Awdaghost et Almoravides en contrôlèrent directement ou indirectement les sources), les hommes (nomades adaptés aux dures conditions climatiques) et les moyens logistiques et techniques (chameaux et connaissance de l'hydraulique désertique).

A chaque fois que les "mauritaniens" s'étaient assurés du contrôle de cet espace commercial transsaharien, cela s'est traduit par l'apparition et le développement d'une puissance politique et économique dominante dans la région et de manifestations civilisationnelles originales (civilisation urbaine de Ghana, d'Awdaghost, de Walata, de Chinguitti). Cela est surtout vrai pour l'état almoravide qui nous a légué de brillants traits de civilisation dont les prolongements sont allés au-delà de l'existence temporelle et spatiale de cette dynastie.

Si donc le Sahara n'a pas constitué au Moyen-Age un obstacle au commerce entre les pays qui lui sont riverains, pourquoi le serait-il aujourd'hui à l'heure du triomphe technologique de l'homme ? Pourquoi les liens commerciaux réguliers qui unissaient le nord et le sud du Sahara jusqu'à une époque toute proche ont-ils été rompus ? L'Union du Maghreb Arabe, créée le 17 Février 1989, n'est-elle pas une prise de conscience de cette anomalie ?

Maghrébins, sahariens et sud-sahariens ne peuvent-ils pas unir leurs ressources et leurs efforts et dominer de nouveau le désert comme l'ont fait leurs ancêtres ?

Le sel d'Idjil est transporté vers le sud-est du pays et les marchés sahéliens. Ould Cheikh citant Ann Mac Dongall nous apprend que Nioro et Gumbu en importaient chaque année à la fin du XIXè siècle, de 50 à 60 000 barres (soit de 12 500 tonnes à 18 000 tonnes, environ).

Il faudrait peut être voir dans la rareté des renseignements sur la saline d'Idjil une conséquence de la concurrence que lui livrait celle de Taghâza. Plus que celui d'Idjil ce dernier a peut-être du temps des empires sahélo-soudanais, été transporté vers les cités caravanières (Walata, Ghana, Toumbouctou, Gao, Niani) où les fameux Wangara (ou dioula - commerçants) se chargeaient de sa distribution dans les coins les plus reculés du Soudan et de la Forêt.

Mais les caravanes transsahariennes ne transportaient pas que de l'or vers le nord et du sel vers le sud. D'autres produits moins précieux que le sel et l'or étaient échangés en quantités parfois importantes, même s'ils n'ont pas eu l'importance économique, politique et sociale du sel et de l'or.

« Soies, mousselines et brocarts pour les riches soudanais, ivoire, bois précieux et esclaves pour les riches maghrébins »

Les marchands sahariens ou maghrébins ont très vite pris la mesure des soudanais et identifié leurs besoins en produits "nordiques". Ils "déversaient" sur les marchés d'Awdaghost, de Ghana, de Walata, etc. des tissus de luxe (soie, mousseline, brocart), du blé, de l'orge, des fruits secs (raisins, dattes, figures), des chevaux, des parfums, du papier, des manuscrits, des armes décorées, du cuivre, des bijoux et des perles, de l'argent, etc.

Après avoir déchargé, vendu ou entreposé leurs produits, les caravaniers négocient des quantités variables de produits soudanais : du mil, des épices, des cotonnades, de l'ivoire, des peaux, des plumes rares, des bois précieux, des esclaves.

A Walâta, la barre de sel vaut de 8 à 10 mithqal d'or""

Le sel et l'or étaient l'étalon par rapport auquel la valeur des autres produits était déterminée. Al-Bakri nous dit qu'à Awdaghost l'argent - monnaie était connu et que les achats se faisaient avec la poudre d'or. Lors de son périple au sud Sahara au XIVè siècle, le voyageur Ibn Battûta ne manque pas de relever le cours des produits commerciaux : <<les noirs viennent de leur pays chercher le sel : la barre vaut de 8 à 10 mithqal. Le mithqal équivalant à environ 4,725 g ; à Walata de 20 à 30, parfois 40 mithqal dans la capitale du Mali (soit 200 g environ). Les noirs emploient le sel comme monnaie, comme nous l'or et l'argent. Ils le coupent en morceau et s'en servent pour le commerce.>>

Valatin Fernadès nous signale quant à lui que la charge de chameau du sel d'idjil valait à Toumbouctou (au XVè siècle) de 100 à 200 mithqal (de 0,5 kg à 1kg d'or).

III- Routes caravaniers et caravanes :

At-Tariq al-lamtûni

Nous resterions incomplets dans ce bref tour d'horizon si nous ne disions pas un mot des itinéraires et des caravanes qui les empruntent.

Pour assurer le transport de marchandises il fallait non seulement un "véhicule" mais aussi un chemin praticable. Les axes commerciaux transsahariens continuent de poser de sérieux problèmes aux chercheurs, quant à leur tracé exact, les localités desservies, la fréquentation, etc.

En négligeant les axes ouest-est (ou inversement) on peut identifier, quant au Sahara Occidental qui nous intéresse, deux grands axes principaux :

- un axe Sijilmassa - Tamedelt - Taghâza - Walata - Ghana - Niani (avec une variante Taghâza - Tawdenni - Arawane - Toumbouctou - Mopti - Djenni - Niani);

- un axe Aghmât (ou Sijilmassa) - Idjil - Wadane - Awdaghost - Koumbi Saleh - Diara - Niani.

Cette route fut appelée "At-tariq al-lamtûni" en raison de la prééminence de cette tribu Sanhâja sur les activités caravanières dans la région. Ce dernier axe pouvait avoir une bretelle qui bifurquait d'Idjil vers Azougui et Awlil sur la côte Atlantique, au sud de Nouakchott, avant de rejoindre les cités du Takrûr sur le fleuve. Ibn Battûta nous a laissé un précieux témoignage sur le deuxième itinéraire. Parti de Sijilmassa il aboutit à Taghâza après 25 jours de voyage. Il ne cache pas sa déception vis à vis de cette localité : <<C'est une bourgade sans rien de bon, dont la seule curiosité est que les maisons et la mosquée sont bâties en bloc de sel avec des toits en peau de chameau>>. De Taghâza, il se rend à Walata. En 1352 cette localité sert de port d'entrée de l'empire du Mali. Le Mansa (empereur) y est représenté par un farba gouverneur militaire et dont le comportement lui déplaît tout de suite : « Lorsque nous arrivâmes, les commerçants doivent déposer leurs marchandises sur une grande place, sous la garde des noirs. Ils allèrent se présenter au farba ... Les notables massoufa se tenaient derrière lui, les commerçants débout devant. Bien qu'ils fussent tout près, il leur marqua son-mépris en s'adressant à eux par le canal d'un interprète. Je regrette alors d'être venu dans ce pays ».

Ibn Battûta n'a visiblement pas compris que le farba pouvait ignorer l'arabe et que le protocole l'oblige à s'adresser au public par la voix d'un

pays, riches et puissants. Les rois tenaient compte de leur avis et de leurs intérêts. Puis les marchands arabes émigrés. Al-Bakri nous apprend que Ghana <<se compose de deux villes, l'une des deux est habitée par les musulmans..>>. Le même Al-Bakri rapporte que dans ce même empire <<les interprètes du roi sont choisis parmi les musulmans, ainsi que son trésorier et la plupart des ministres>>.

C'est parmi les Sanhaja que les guides des caravanes étaient choisis.

Entre les deux extrêmes du commerce caravanier, il y avait le système de transmission qui permettait leur mise en relation. Pour aller du Maghreb au Soudan et vice-versa il faut traverser un désert hostile. Sans habitant fixe et grâce au chameau et à l'habitude des longs déplacements les Sanhâja devinrent tout naturellement les maîtres des routes et du trafic caravanier. Ayant une connaissance parfaite du désert et les seuls aptes à déjouer ses pièges, c'est parmi eux que les guides des caravanes étaient choisis. Ibn Hawqal, qui a visité Sidijilmassa et Awdagost au milieu du Xè siècle note que les Sanhaja sont les "maîtres des routes" qui relient ces deux localités. Tous ces témoignages concordent sur ce point : les Sanhâja furent les maîtres du désert et donc les grands bénéficiaires des échanges nord-sud à cette époque.

II- Les produits du commerce caravanier :

Bilad as-Sûdan ou pays de l'or

Nous avons déjà dit que le métal précieux était à l'origine de l'intérêt du Maghreb et de l'Europe pour le Soudan. Les légendes et les rumeurs les plus extravagantes circulaient sur les "fabuleuses" quantités d'or que recèlerait cette région à telle enseigne que les voyageurs et géographes lui ont donné le surnom de "pays de l'or". Les descriptions d'Al-Bakri, d'Ibn Khaldûn ont largement contribué à entretenir cette réputation.

Etait-elle usurpée ?

Le Soudan possédait plusieurs placers qui se situent pour la plupart dans les régions du Haut-Sénégal et du Haut-Niger du nord de la forêt (nord du Ghana, de la Côte d'Ivoire et du Nigéria actuels). Par conséquent, les quantités tirées de toutes les mines, sans correspondre tout à fait aux merveilleuses descriptions étaient quand-même appréciables.

Peut-on avoir une idée du tonnage produit ou exporté ? l'entreprise paraît des plus hasardeuses ; aussi nous contenterons-nous de rappeler que l'historien Mauny avance le chiffre de 9 tonnes d'or, exportées chaque année, à travers le Sahara du XIIè au XVIè siècle, de V.Godinho, plus modeste, ne retient quant à lui que le chiffre de 4 tonnes. D'autres indications peuvent nous être suggérées par le fameux pèlerinage de kankou Moussa. Il aurait amené avec lui 2 tonnes d'or et qu'il dépensa tant d'or au Caire que les cours tombèrent de 20% ! Le même Kankou Moussa fit d'ailleurs un cadeau royal de 50 000 mithgals (environ 250 kg) au sultan An-Nasir Mohamed ben Qualawun. Plus près de nous la richesse de Ghana en or n'avait rien à envier à celle du Mali. Grâce à Al-Bakri la grosse pépite d'or (évaluée à 15kg) à laquelle on attachait le cheval du tounka (le roi de Ghana) est devenue célèbre.

Mythe ou réalité l'or du bilâd as-Sudan a permis un échange fructueux de produits entre nord et le sud grâce aux caravanes et il est légitime de penser dit J. Devisse qu'une part non négligeable de l'or africain est passé dans le circuit des affaires européennes.

« A deux lieues de cette montagne d'Ygild se trouve la montagne d'où on extrait le sel »

Tandis que l'or du Soudan prenait le chemin des principautés du Maghreb et de l'Europe, le sel gemme du Sahara allait essentiellement vers le Sahel et le Soudan. Il était extrait des salines d'Idjil, de Taghaza et d' Awlil. Il a fallu attendre les premières tentatives de pénétration portugaise sur la côte mauritanienne pour avoir la première mention du sel d'Idjil. Nous la devons à Valentin Fernandès qui disait notamment : « A deux lieues de cette montagne d'Idjil se trouve la montagne d'où on extrait le sel qui est apporté à Oaden, Tambûctu et autres localités »

C'était au XVè siècle. La saline d'Idjil était-elle inconnue à l'époque d'Awdaghost, de Ghana, des Almoravides? Quand fut-elle découverte?

Malheureusement les indices historiques dont nous disposons à présent ne nous permettent pas de répondre à ces questions. Certaines hypothèses penchent pour une exploitation de cette saline bien antérieure au XVè siècle. A en croire les textes portugais celle-ci était bien entamée à cette époque là, même si nous ignorons le volume des extractions et l'importance du commerce du sel d'idjil dans les échanges régionaux. Ni Cheikh Sidi Muhammad al-Kunti (né en 1826) dans "Epitre aux Aghlal" (Al-risla al-ghallawiyya), ni Léopold Panet qui parcourt la région en 1850 et qui constate que la barre de sel sert d'unité monétaire, ne viennent combler cette lacune, nous précise Abdel Weddoud Ould Cheikh. C'est le capitaine Vincent qui explore l'Adrar en 1860 qui confirme les renseignements donnés par Al-Kunti, relatifs au contrôle d'Idjil par les Kunta, et qui nous donne une estimation chiffrée de la production annuelle qui s'élevait à 20 000 charges de chameau, d'environ 200 kg chacune, soit 4 000 tonnes.

avaient un vaste réseau commercial qui allait de Tlemcen à Niani (capitale du Mali), en passant par Sijilmassa et Walata.

Toujours au Maghreb des négociants européens voyant tout le profit qu'ils pouvaient tirer de ce commerce s'installaient dans les métropoles maghrébines et échangeaient de la verroterie, des draperies de laine, du blé, du cuivre, etc., contre l'or rapporté par les marchands maghrébins du Soudan. C'est cette même "faim de l'or" qui, selon J. Devisse, va contraindre l'Europe à partir du XVè siècle, à se lancer vers la conquête et la domination économique du monde.

Certaines dynasties maghrébines furent "partie prenante" dans ces "affaires", parfois par personnes interposées.

Quand géopolitique rime avec profit économique

Le "beït al mal" (Trésor public) était renfloué grâce aux taxes et droits perçus sur les marchandises et opérations commerciales. La douane Hafçide, par exemple, faisait de recettes annuelles de 150000 dinars.

Les soucis géographiques des souverains maghrébins, visant à contrôler le Sahara et les terres au-delà, restent essentiellement sous-tendus par des motivations économiques. La possession des salives du Sahara (Taghâza, Ijjil, Tawdenni) permettait de fructueux échanges avec le Soudan et de drainer ainsi son or. C'est dans ce cadre qu'il faut voir les convoitises de Moulaye Ahmed, sultan du Maroc, qui lancera un corps expéditionnaire contre le royaume soudanais des Songhaï. Les pouvoirs politiques sahariens et même soudanais ne furent pas en reste. En soumettant Awdaghost et Ghana, les Almoravides visaient le contrôle des routes et cités caravaniers et ainsi les richesses du Soudan (l'or) et du Sahara (le sel). Mieux encore en se lançant à la conquête du Maghreb et de l'Espagne, ils ont voulu ainsi dominer les stations "nordiques» du commerce transsaharien.

L'or pousse dans les sables comme des carottes :

Afin de voir rapidement le rôle tenu par les soudanais dans ce commerce nous n'évoquerons que Ghana, le Takrûr et le Mali.

Dès le 8è siècle, le Ghana est connu des auteurs arabes, vers 900, Ibn Al Fagih nous apprend que <<dans le pays de Ghana, l'or pousse dans les sables, comme des carottes ; on les récolte au lever du soleil>>. A l'époque de sa plus grande extension, le Ghana s'étendait du Haut-Niger au Tagant mauritanien. La richesse fabuleuse que lui prêtent les voyageurs et chroniqueurs arabes ou soudanais n'a pas empêché Ghana de s'emparer d'Awdaghost en 990, capitale d'un florissant royaume Sanhâja et relais caravanier très actif. Pendant près de quatre siècles (du VIIIè au XIè) Ghana fut l'un des principaux centres commerciaux du Soudan Occidental et sa capitale, Koumbi Saleh, n'était qu'un immense entrepôt où s'entassaient les produits du Maghreb, du Soudan, du Sahara, du Takrûr. Ce dernier royaume aurait acquis, selon Al Idrissi, son indépendance de Ghana vers le milieu du XIè siècle. Pour prendre une revanche sur son ancien suzerain, attirer à soi une part des profits du commerce et posséder pleinement les mines d'or du Galam, le roi, Warjâbir et son fils Labbi prêtèrent main-forte aux armées almoravides. Tout comme les Almoravides, le prosélytisme des Takrûriens n'était pas totalement désintéressé ; l'éclipse de Ghana leur permit d'échanger le sel d'Awlil contre l'or du Galam grâce à cette voie d'eau navigable qu'était le fleuve Sénégal.

La prouesse du Mali : contrôler toutes les mines d'or du Soudan

Fondé au XIII siècle, le Mali remplace le Ghana dans l'économie marchande du Soudan et sa capitale Niani est le point d'arrivée et de départ des caravanes. Mais sa légendaire richesse en or, révélé par le pèlerinage de Kankou Moussa en 1324, est certainement due à une prouesse qu'aucun pouvoir n'avait réussi à réaliser jusqu'alors: conquérir et contrôler toutes les mines d'or du Soudan (le Galam, le Bambouk, le Bouré, la région de Niani et plus au sud des zones de la forêt). A son apogée au XIVè siècle le Mali est un véritable carrefour de routes commerciales où transitent d'importantes quantités de produits très divers. Plusieurs cités mauritaniennes étaient autant de marchés actifs au service de l'économie malienne (Oualata, Koumbi Saleh, Silla, Awdaghost.)

"Tous les morceaux d'or natif appartiennent au souverain" nous dit Al Bakri

Comme pour le Maghreb, au Soudan, les pouvoirs publics sont intéressés et forcément impliqués dans le commerce caravanier. Au ghana et au mali "Kaya Maghan" et le "Mansa" surveillant de près la production de l'or dans un but apparemment anti-inflationniste nous dit Abdel Weddoud Ould Cheikh . Al Bakri nous dit à ce propos qu'à Ghana <<tous les morceaux d'or natif trouvés dans les mines appartiennent au souverain, mais il abandonne au public la poudre d'or que tout le monde connaît>>. Les cours royales au sud Sahara médiéval étaient constamment préoccupées par le cours de l'or, monnaie d'échange et matière première précieuse et très recherchée par le Maghreb et l'Europe et dont leur puissance en dépendait dans une importante mesure.

Non moins impliquées dans ce commerce étaient les classes marchandes dans les cités caravanières. Parmi elles, il convient de distinguer les natifs du

L'espace mauritanien et son rôle dans le commerce caravanier médiéval transsaharien

Par ABDELLAHI FALL
Inspecteur H.Géo IGEST-MEN

INTRODUCTION :

Le Sahara désertique n'est certainement pas le Sahara verdoyant que les préhistoriens se plaisent à nous décrire. Certes, les activités humaines dans l'un ou l'autre de ces deux milieux ne sont pas comparables à beaucoup d'égards. A en croire certaines thèses on peut penser que la désertification a entraîné une baisse considérable, voire une disparition des activités. Ces thèses oublient que ce processus a été très lent et progressif et que l'adaptation des hommes au milieu changeant est allée de pair avec les modifications morpho-climatiques. Au point qu'il est possible de dire que le Sahara, devenu désert, n'a jamais constitué une barrière infranchissable entre ses deux confins : le Maghreb et le Sahel. Bien au contraire le Sahara semble avoir été une zone de passage privilégiée par laquelle ont transité les techniques, les produits, les hommes et les idées.

C'est à travers le Sahara désertique que s'est établi l'un des courants d'échanges les plus intenses du Commerce mondial médiéval, le commerce transsaharien, auquel l'espace mauritanien a été intimement lié.

A travers le bref aperçu suivant, nous allons tenter de montrer le rôle et les avantages que les diverses entités de notre pays ont joué et tirés des échanges commerciaux transsahariens.

PRELIMINAIRES :

Le chameau élimine le cheval

Le dessèchement progressif du Sahara entraîne une réduction de la vie sédentaire, qui se limite de plus en plus à quelques oasis, au pied des montagnes et le long des oueds (en Adrar et au Tagant).

Cette détérioration du climat (vers plus de sécheresse) élimine progressivement le cheval comme bête de source, au profit du dromadaire (ou chameau), utilisé désormais par des peuplades que le nouveau milieu physique oblige à adopter un nouveau mode de vie : le nomadisme.

Les modifications climatiques semblent s'accompagner d'un glissement vers le sud du peuplement originel, (dont on pense qu'il est de type négroïde) et son remplacement progressif des populations blanches (probablement berbères) qui étendent peu à peu leur domination sur le Sahara Occidental, tout en maintenant par ailleurs des relations techniques, commerciales, culturelles avec le nord. Ces berbères devaient d'ailleurs tirer le meilleur parti de ces liens et s'assurer la maîtrise des courants d'échanges qui s'établissent grâce à l'apparition ou la création de centres urbains.

Awdaghost et Ghana, cités caravaniers naguère prospères, aujourd'hui disparues

Au VIIIè siècle Awdaghost et Ghana étaient bien connues des chroniqueurs arabes, en raison de leur prospérité et de leur rayonnement économiques. Ces cités étaient situées sur l'un des plus importants axes caravaniers, l'axe occidental ou "At-tariq allamtuni" (la route des Lamtuna). Tandis que Ghana était un royaume noir (soninké) , Awdaghost était d'obédience sanhâja.

Ce sont d'ailleurs ces mêmes sanhâja qui vont animer un mouvement d'islamisation en profondeur au XIè siècle dans ces régions, auquel il faudrait ajouter un vif désir d'enlever aux royaumes noirs du Soudan le contrôle des accès aux régions aurifères.

I- Les acteurs du commerce transsaharien :

Les pouvoirs politiques maghrébins :

Au Maghreb, des royaumes, des dynasties vont se mettre en place. Tous furent attirés par les produits sahariens et soudanais (l'or en particulier) au point qu'à travers les siècles chacun a oeuvré pour que se perpétuent les infrastructures, les produits et les moyens permettant d'assurer une permanence des échanges entre le nord et le sud. Deux groupes de personnes étaient particulièrement et directement intéressés par ces relations, les pouvoirs politiques et les négociants.

Ces derniers sont les commanditaires de ce commerce. Il mettaient sur pied les caravanes, en louant les animaux, les convoyeurs et les guides. Citons à ce propos D.T. Niane : « Dans les villes maghrébines (...) il y avait des dynasties de riches marchands, de véritables "armateurs" qui "affrétaient" les caravanes ». Les frères Magani

des femmes au poste de ministre , alors que dans des pays pourtant réputés plus modernes comme la Tunisie , il a fallu attendre le début des années quatre -vingt pour voir appliquée une telle mesure certes symbolique mais significative.
Ces conditions relativement favorables ont permis aux femmes mauritaniennes de se distinguer par un engagement continu et massif dans le processus de modernisation sociale et politique, qu'aujourd'hui, les femmes constituent en quelque sorte la cheville ouvriere des partis et organisme politiques: elles animent les meetings, en constituent le public majoritaire, assistent aux manifestations , distribuent les journaux et les tracts, chantent et composent les slogans etc. Cette tendance de participation active ne s'est pour ainsi dire jamais démentie . Aujourd'hui encore, lors des échéances électorales les campagnes sont tenues et animées par les femmes ; ce sont elles qui impriment le rythme des rassemblements populaires, qui s'occupent de dresser les tentes à la gloire de des candidats respectifs , de les faire vivre, organisent des charivari , appellent les gens à voter , font les démarches et les tournées électorales etc. De plus, les femmes sont présentes sur les listes des élections et aux postes d'élues.

On pourrait pourtant remarquer que la plupart du temps, cette activité politique débordante n'est que sporadiquement utilisée aux services de la défense de la condition de la femme. D'ailleurs la diffusion sociale des débats sur cette question est relativement restreinte , de manière générale . Comment expliquer ce paradoxe ?

Si les femmes se présentent souvent comme auxiliaires des combats politiques dirigés , initiés et bénéficiant aux hommes , ce n'est pas là le signe d'une soumission ni d'un dévouement désintéressé car il ya des raisons de croire que l'issue de ces combats a toujours servi directement ou indirectement la cause des femmes . En effet , tout se passe comme si les femmes profitaient des contextes de contestation ou de vie politique intense pour résoudre quelques uns des problèmes catégoriels au nom de la collectivité, comme en sous-main ou en contrebande, car il est possible pour elles de prendre la parole à haute voix au nom des causes qu'elles défendent et de routiniser de ce fait l'intervention féminine dans l'espace public. Tout se passe dés lors comme si les femmes ont choisi de camoufler une revendication qui aurait été mal accueillie socialement si elle avait été formulée autrement que dans des projets globaux , et dans la manière même de s'impliquer dans ces projets , et par la seule participation à ceux-ci . Ce faisant , elles évitent de provoquer un affrontement polarisé autour d'elles et qui aurait beaucoup moins de chance de « passer » et d'être appuyé par les hommes et par la société globale , au nom des valeurs auxquelles nous avons déjà fait allusion. C'est d'ailleurs grâce à cette stratégie du camouflage que les rapports entre les sexes restent pacifiés. Mais on ne peut pas s'arrêter à cette explication stratégique car il faut avouer que les questions centrales qui , en société islamique polarisent d'habitude les revendications féminines (polygamie, répudiation , voile forcé etc...) ne sont pas répandues en Mauritanie . De même l'attention sociale et la considération accordées culturellement aux femmes étant fortement valorisées , les règlements de questions féminines passent souvent par des biais peu conflictuels . En tout cas cela aboutit au fait avéré que les modes d'action féminines qui sont porteurs d'intervention et de prise de parole politique ou de manifestation d'une spécificité féminine, empruntent souvent des voix sécrètes , feutrées , difficiles à déceler, ambivalentes , ambiguës et toujours difficiles d'accès pour le chercheur. D'où l'intérêt de les interroger davantage.

nullement par une logique de l'enfermement , de la séparation ou de la réclusion des femmes , encore moins par un refus de la mixité .

Les normes sociales sont indépendantes , voire opposées à la morale religieuse qui , en l'occurrence , est largement contredite par le désir social de contrôle de la visibilité féminine , lequel finit par l'emporter nettement sur la socialisation religieuse asexuée à laquelle , du reste , appelle l'Islam , mais que , dans ce cas précis , les normes sociales implicites cherchent à éluder.

Dans tous les cas , la femme maure prend allègrement ses libertés avec toutes les normes sociales et religieuses et souvent impunément . Dans l'imaginaire maure, on accrédite d'ailleurs les femmes d'une intelligence suprême qui les aiderait à braver tous les interdits à triompher de toutes les contraintes et à obtenir tout ce qu'elles désirent, sans paraitre toutefois en contradiction avec ces mêmes normes ? C'est en fait ce qu'on appelle ici « la ruse des femmes « (keyd nisa') qui est une sorte d'habileté mêlée de roublerie et de perfidie et qui serait constitutive de l'identité féminine.

Pour autant , l'historiographie de la société maure ne donne pas d'exemple notable de pouvoir féminin, ni d'héroïne féminine, ni d'amazones célèbres ou même légendaires .

D'ailleurs , à part les données anthropologiques éparses qu'on peut plus ou mois . reconstituer, il n'existe véritablement pas de sources dignes de ce nom au moyen desquelles une reconstitution du vécu politique des femmes avant la colonisation serait possible. Par contre , le récit des événements qui ont présidé à l'indépendance du pays ainsi que les premières luttes politiques qui y ont été menées font état d'un grand engagement des femmes dans les combats politiques de toutes sortes . Il est ainsi établi que la relative liberté dont jouit la femme en Mauritanie lui a permis d'avoir à certains moments de l'histoire post-coloniale du pays à jouer un rôle non négligeable sur le plan politique, rôle qu'il serait intéressant de retracer , de reconnaître et d'explorer. Mais une telle entreprise reste difficile à entreprendre quant on sait qu'elle sera compliquée considérablement au moins par une représentation sociale maure largement dominante et d'ailleurs partagée par les femmes elles-mêmes et selon laquelle l'activisme politique est d'essence virile et masculin et ne convient guère aux femmes .

Ainsi , si l'on considère l'évolution des statuts et des activités féminine depuis l'indépendance , on est forcés de constater le dynamisme à la fois économique , social et politique de la femme mauritanienne.

Actrices sociales qui s'inscrivent massivement dans le processus de scolarisation moderne, les femmes acquièrent de plus en plus de place dans les appareils administratifs , économiques et politiques. Il est d'ailleurs remarquable que de très larges secteurs de l'économie mauritanienne et non des moindres soient largement investis par les femmes. Il s'agit en particulier du commerce , de l'artisanat ainsi que du secteur informel, secteur qui devient de plus en plus dominant dans les économies des pays pauvres tels que la Mauritanie. Ce dynamisme commercial est d'ailleurs en phase avec celui des femmes africaines telles que les Togolaises appelées « Nana-Benz » (par référence à la marque leurs voitures , elles-mêmes signes de réussite sociale et d'une accumulation économique importante...) qui ont montré ces dernières années un sens commercial qui semble avoir fait école et que tout le monde évoque avec admiration aujourd'hui.

Aucun gouvernement mauritanien n'a jamais remis en cause la présence des femmes sur la scène publique ni ne s'est opposé réellement à ce qu'elles puissent jouir d'une place officielle relativement importante . Ainsi , on remarque que la Mauritanie a dès l'indépendance nommé

maintenue dramatiquement dans une sorte de soumission passive et irrémédiable.

En Mauritanie, ni dans la société traditionnelle et encore moins aujourd'hui, cette obsession de la réclusion féminine n'est dominante. En effet, ici, l'horizon des prérogatives féminines est autrement plus large et il n'est guère établi nulle part que la femme doit être systématiquement soumise, ni même qu'il doit y avoir une valorisation excessive de la subordination féminine. Cela se vérifie d'ailleurs aisément sur le sel plan des relations matrimoniales où les normes islamiques qui attribuent beaucoup de pouvoir à l'homme ne sont guère observées : en effet, par exemple, il y a une réelle mobilité des destins matrimoniaux dont les femmes ont plus ou moins la parfaite maîtrise, en tout cas davantage que dans n'importe quelle autre société musulmane. La répudiation ici n'est pas le fait exclusif de l'homme et la femme a toute latitude à mettre fin à son mariage et, dans ce cas, les hommes n'ont que peu de recours contre les épouses si celles-ci ont décidé de divorcer et ne peuvent qu'exceptionnellement les contraindre à rester. Le plus souvent, la femme est libre de ne pas reprendre les liens du mariage qu'elle aurait rompus unilatéralement. De plus, la polygamie pourtant autorisée par l'Islam est ici refusée avec succès par les femmes qui ont réussi à en faire une pratique parfaitement marginale et socialement réprouvée.

En fait, il y a là une relative liberté et une certaine capacité d'action des femmes dans une société qui pourtant clame sans cesse son caractère patriarcal et dont les principes aussi bien que l'héritage arabo-musulman, par ailleurs très important, auraient pu faire croire le contraire. En tout cas, il semble que la situation traditionnelle de la femme maure a connu d'importantes évolutions positives vers plus d'émancipation et qu'elle n'ait subi aucune régression.

Cependant, il serait inexact de dresser le portrait d'une femme mauritanienne absolument libre. D'ailleurs, il faut remarquer que même si la visibilité féminine n'a jamais réellement posé de problème ni été remarquer que même si la visibilité féminine n'a jamais réellement posé de problème ni été vraiment réprimée socialement, force est de reconnaître que, au moins avant la très grande évolution qu'on peut noter aujourd'hui, la société traditionnelle maure a souvent été soucieuse d'opérer un contrôle strict de la sexualité féminine. Mais il faut dire que même aux moments où ce souci était absolument dominant, il relevait moins de l'ordre de la coercition que d'un ensemble de facteurs complexes où se mêlaient des sentiments multiples, ambivalents et divers tels que la honte, l'honneur, la pudeur, etc.

Mais la honte sociale, cette pudeur appelée "sahwa", si elle concerne au premier chef la sexualité, s'étend à d'autres domaines où l'honneur est en jeu. Les hommes par exemple peuvent avoir un comportement honteux ou déshonorant lorsqu'ils manquent à certain code de l'honneur dans lequel figure en bonne place l'assistance et l'aide aux femmes ainsi que leur respect : on ne peut humilier , violenter ou maltraiter une femme de quelque manière que ce soit sans attirer sur soi l'opprobre sociale et le déshonneur. Car , de manière générale , il existe dans la société maure une culture de la considération et du respect de la femme qui mêle à la fois l'adulation , le paternalisme , la galanterie , la crainte et la fascination . Cela est en partie dû à l'importance de la femme en tant que facteur d'alliance entre tribus et familles dirigeantes en société maure traditionnelle. Sa position est de ce fait valorisée politiquement aux fins de stratégies politico-matrimoniales. Est-ce pour cela que les dispositifs sociaux visant à la brimer , à astreindre sa marge de manoeuvre sont finalement assez souples et jamais abusivement autoritaires ?

Et tout cas , les règles de soumission féminine en vigueur dans le dogme et la pratique islamiques en général n'ont ici qu'un impact relatif. Il ne se traduit

est plus d'ordre hiérarchique que sexuel. Cela ne veut évidemment pas dire que les rôles sexuels sont seconds ou hypostasiés, mais seulement qu'ils sont subordonnés aux rapports statutaires dont on connaît l'importance dans une société aussi hiérarchisée que la société mauritanienne.

Mais il ne suffira pas de brosser à grands traits la place assignée normativement et institutionnellement à la femme d'après les valeurs sociales ou religieuses pour camper la véritable réalité du rôle effectivement joué par la femme dans la société et pour prendre la mesure de son activité, activité elle-même differenciée, plurielle et relative.

Il importe donc de considérer l'ensemble de ces facteurs et de les associer afin de comprendre la réalité du vécu politique et social des femmes mauritaniennes.

Le texte du Coran est sans équivoque sur ce sujet et énonce une tutelle des hommes sur les femmes : "les hommes ont autorité sur les femmes" nous dit le Texte sacré (Coran, Sourate IV, verset 38). On n'entrera pas ici dans une discussion pour savoir ce que cela implique, la prérogatives des uns et des autres, la place qui doit être accordée au poids de l'évolution historique, etc.

On dira seulement que , comme le dit W.Walter dans femmes en Islam (Paris Sindbad 1991 p.48):

"Le Coran souligne expressément la supériorité de l'homme sur la femme et, effectivement, au point de vue juridique, la femme est dans quelques domaines, défavorisée par rapport à l'homme. Pourtant la législation islamique comportait une amélioration de la position de la femme par rapport à la période pré-islamique, notamment en ce qui concernait le droit de succession et le mariage".

La pratique en sociétés musulmanes de manière générale s'éloigne plus ou moins sensiblement de la norme coranique et chaque société particulière adopte et adapte ce statut octroyé au cadre empirique de son propre système traditionnel de rapport entre les sexes et le rôle de ce système de rapports dans les dispositifs locaux d'organisation sociale et politique.
En société maure, le statut islamique est concurrencé par (en même temps qu'il cohabite avec) la multiplicité des rôles féminins, rôles eux-mêmes subordonnés aux rapports hiérarchiques comme nous l'avions déjà dit. Ce qui indique que le statut, la marge de manoeuvre, le mode d'action et le rôle social d'une femme issue de l'aristocratie maraboutique n'a rien à voir, en principe, avec celui d'une autre issue de la classe guerrière, de la caste des griots ou d'une esclave ou encore d'une esclave affranchie. Car chacune de ces appartenances fixe et codifie, en rapport certes avec les normes islamiques, mais aussi en rapport avec les valeurs sociales en vigueur, le comportement et les conduites attendues des femmes. On ne pourra certes pas détailler de telles variations aussi complexes qu'imbriquées. En revanche, il faut essayer au moins de décrire brièvement les tendances partagées et les traits communs qui peuvent faire parler d'un statut social de la femme maure, et surtout essayer de décrire les pratiques génériques et les modes d'action de celle-ci.

La femme en société maure :

Si on la compare à d'autres sociétés patriarcales musulmanes, la société maure paraît octroyer à la femme une place sans comme mesure avec le sort réservé à ses soeurs.

D'abord, contrairement à ce que l'on peut observer ailleurs, la situation de la femme n'est ni méprisée ni dévalorisée : on sait que dans certaines sociétés voisines culturellement, la naissance d'une fille est vécue comme catastrophe familiale.

Par ailleurs, la société maure ne condamne guère la femme dès son jeune âge à la réclusion et à la négation sociale, ni même ne la relègue dans les limites de l'espace domestique, pas plus qu'elle n'est

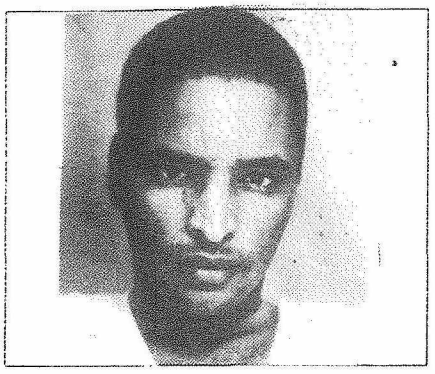

Femmes et sociétés en Mauritanie

Zekeria Ould Ahmed Salem
Docteur en Science politique, chercheur

Il n'existe peut être pas de statut unique de la femme mauritanienne. Celui-ci est non seulement variable, pluriel, mouvant et relatif, mais en plus il est susceptible d'être modelé sans cesse par l'entrecroisement des normes prescrites, de la réalité des vécus ainsi que sous l'influence des actions sociales des femmes elles-mêmes. Dès lors, aucune donnée unique ne peut expliquer de manière définitive la condition sociale et politique de la femme.

En l'occurrence, il serait tout à fait inexact et rapide de résumer la réalité de la situation de la femme mauritanienne à ce qu'elle est censée être dans une société islamique en général. Car, à ce propos, on sait que, nourrie de l'expérience normative des textes religieux ainsi que de la nature originelle des rôles, une certaine vision qui se trouve être la plus répandue de la femme en Islam, préfère décrire des structures immobiles et prétendument universelles, s'apesantir sur des statuts prescrits et normatifs plutôt que de prendre en compte les diverses situations nationales et les temps des évolutions sociales locales au demeurant fort diverses, la confrontation contrastée et relative de ces normes et statuts prescrits à la réalité du vécu et de l'action sociale. Tout se passe en fait comme s'il y avait une confusion qui s'opère entre la symbolique des sexes en Islam et la réalité prosaïque et observée de la division sexuelle du travail politique et social au sein de chaque societé et des variations et actualisations que suit cette même division au sein de chaque societé particulière . Or au lieu de catégoriser a priori la relation entre les sexes et sa place dans la réalité sociale et politique comme une donnée naturelle ou théologique intangible, ne faut-il pas essayer d'en proposer une compréhension qui la regarde aussi et surtout comme une construction sociale ? C'est en tout cas ce que nous suggère de faire l'observation de l'écart énorme qui existe entre la réalité et les normes, entre les statuts et l'activité sociale des mauritaniennes.

1- Femmes et hiérarchie sociale : Le statut de la femme en .Mauritanie, au moins traditionnellement, est très variable car la place de chaque femme ou groupes de femmes mauritaniennes est fortement fonction de la strate sociale dont elle est issue, du segment auquel elle appartient, à l'ensemble ou sous-ensemble socio-ethnique, au milieu (rural ou urbain) ainsi que de la place de l'ensemble de ces référents d'appartenance au sein de la collectivité, et donc finalement de la place octroyée à la femme au sein de chacun de ces cercles.

De manière générale, si la hiérarchie des femmes est variable selon le statut social et le groupe d'appartenance, leur condition propre n'est pas distincte dans la société globale de celle de leur groupe d'origine par lequel elle se détermine d'abord. Autrement dit, le statut social et politique d'une femme en Mauritanie est défini moins par sa particularité comme femme que par la place qu'elle tient du fait de son affiliation à un groupe social donné et placé dans la hiérarchie sociale en vigueur. En société maure, la surdétermination sociale

Néanmoins, l'Etat naissant avait d'autres priorités : consolidation de la souveraineté internationale, faire face aux convoitises extérieures, construction des infrastructures de base quasi inexistantes et renforcement de l'unité nationale.

C'est pourquoi durant les premières années de l'accession du pays à l'indépendance, les programmes d'enseignement étaient calqués sur ceux de l'ancienne métropole: le français était la langue officielle, celle de l'école et de l'emploi.

Mais au milieu des années soixante, sous la pression des événements et des revendications nationalistes, le pouvoir s'oriente vers la réhabilitation de la langue arabe. Pour ce faire, plusieurs réformes ont été initiées entre 1967 et 1978 au niveau de l'enseignement pour permettre à l'arabe d'occuper progressivement la place qui lui revient.

Ainsi, l'arabisation engagée semble progresser aux dépens du français; la dernière constitution du pays a consacré l'arabe, langue nationale et la langue officielle unique.

Toutefois, il s'est avéré qu'il n'est pas facile de détrôner le français après un demi-siècle de présence.

Car, si aujourd'hui, l'arabe est la langue officielle du pays, force est de constater que le français jouit cependant encore d'une place non négligeable au niveau de l'école (à côté de la filière dite "bilingue" où le français est la langue d'enseignement toutes les classes mauritaniennes apprennent le français du primaire jusqu'à l'université), dans l'administration et dans la vie socio-culturelle en général.

Au-delà de la genèse de cette langue, l'étude, à la lumière des développements récents de la didactologie/didactique des langues et des cultures , analyse le système d'enseignement / apprentissage du français, à travers les programmes, les méthodes et la formation des enseignants.

C'est ainsi qu'à partir du modèle de formation dispensé par l'Ecole Normale des Instituteurs et de l'Ecole Normale Supérieure de Nouakchott, les principales insuffisances sont relevées et des solutions de remédiation leur sont apportées.

De même, les méthodes d'enseignement, conçues localement et utilisées depuis l'école fondamentale jusqu'à la fin du second cycle secondaire sont également analysées dans le sens de leur perfectionnement.

A ce propos, la première évaluation des connaissances des élèves des classes de fin d'études primaires et du premier cycle secondaire, a été aussi traitée.

Sur le plan scolaire toujours, l'étude met l'accent sur l'urgence et la nécessité d'une réforme globale du système éducatif et de l'enseignement du français particulièrement, pour remédier à la baisse sensible du niveau des élèves (en filière arabe notamment).

En même temps, elle dégage des pistes de réflexion pour une éventuelle politique linguistique, tenant compte des données géographiques, économiques et culturelles du pays. Des idées sont ainsi émises sur la place que devrait occuper le français dans le système éducatif mauritanien et les chances de succès d'un enseignement en langues nationales.

Sur le plan extra-scolaire, l'étude s'intéresse à l'usage du français dans la vie quotidienne: dans la rue, au bureau, à la maison et pose le problème des interférences linguistiques résultant du contact de cette langue avec les autres langues nationales (l'arabe, le pulaar, le soninké et le wolof).

Mais c'est surtout à travers les médias et l'émergence d'une littérature embryonnaire que la présence du français se manifeste le plus.

Enfin, l'étude, à partir de la situation passée et présente du français, s'interroge sur son avenir. Le rôle que pourrait jouer la langue française dans le développement scientifique et dans le domaine de la communication est ici en exergue. Le débat est aussi engagé sur la place qu'occupe la Mauritanie au sein des "pays ayant le français en partage".

Le Français en Mauritanie: Bilan et Perspectives'

Thèse de doctorat
Présentée par **Mohamed Vall Ould Cheikh**
à l'Université de la Sorbonne Nouvelle Paris III

Présentation

Cette étude fait le point sur la situation du français depuis la colonisation jusqu'à nos jours.

A cet effet, elle remonte d'abord aux origines de l'introduction de cette langue en Mauritanie. Accompagnant la conquête militaire et l'occupation des terres, l'école coloniale a eu du mal à s'implanter dans ce pays.

A cause de l'étendue du territoire, de la faiblesse démographique et de l'insoumission de ses habitants mais surtout de la concurrence acharnée d'un enseignement multiséculaire (l'enseigne- ment arabo-musulman), le système éducatif colonial a accusé ici, un retard considérable par rapport aux autres colonies de l'ex-A.O.F.

Après les hésitations et les difficultés du début, le système d'enseignement colonial s'est mis peu à peu en place.

C'est ainsi que compte tenu des spécificités du territoire où cohabitent deux groupes ethniques différents (les arabo-berbères et les négro-africains), les autorités coloniales, tout au moins au début, ont mis en oeuvre une politique éducative à deux vitesses : l'une s'adressant aux Noirs, comme dans les autres colonies et l'autre s'adressant aux Maures.

A ce sujet, plusieurs formules d'écoles ont été expérimentées : les écoles de village et les écoles régionales étaient réservées aux négro-mauritaniens et aux enfants issus des milieux modestes, tandis que les médersas et les écoles nomades s'adressaient particulièrement aux Maures (de préférence les fils de chefs).

Evidemment, ces écoles n'avaient pas le même type d'enseignement, ni les mêmes conditions d'études.

Alors que dans les écoles de village et les écoles régionales, le programme s'alignait sur celui des autres écoles des colonies voisines (particulièrement celle du Sénégal d'où était administrée la Mauritanie), l'enseignement en pays maure était franco-arabe (pour ne pas dire arabo-musulman car le français était facultatif dans les trois médersas sur les quatre que comptait le territoire).

Ainsi, pour atteindre ses buts, le colonisateur a utilisé tous les moyens, parfois en contradiction flagrante avec ses propres principes.

Cependant, cette situation va changer au lendemain de la seconde guerre mondiale: les écoles se démocratisent et l'enseignement arabo-musulman perd son privilège.

Les programmes et méthodes sont unifiés dans toutes les écoles du territoire et alignés sur ceux des autres colonies de l'A.O.F.

A la veille de l'indépendance, malgré l'implantation des écoles aux quatre coins du territoire , la résistance culturelle forte de la population et l'insuffisance des crédits alloués à la scolarisation, n'ont pas permis le développement de l'éducation. Des déséquilibres profonds s'étaient créés entre les Maures et les Noirs (ces derniers ayant plus bénéficié de la scolarisation), d'une part et entre les différentes régions; d'autre part.

L'indépendance venue, il fallait corriger ces inégalités et faire face à l'afflux massif des enfants.

traduction de quelques textes locaux et des études monographiques sur l'histoire des deux émirats mauritaniens voisins du Sénégal, le Trarza et le Brakna[23].

Une série d'autres monographies, sous forme de rapports, fut réalisée ensuite par les administrateurs de la Mauritanie. Ces rapports décrivent la situation sociale, politique et économique de la Mauritanie, déjà soumise à la domination française[24]. Les travaux de ces administrateurs relèvent beaucoup plus de l'ethnographie que de l'histoire. Et lorsqu'ils ne mettent pas en relief l'importance (en fait la fragilité) de l'équilibre économique de plus en plus dépendant des produits manufacturés [25], ils s'intéressent aux ressources économiques locales [26]. Certains vont même jusqu'à donner des chiffres sur la répartition ethnique et l'évolution de l'histoire à partir du tableau que cette société présente au début du XXè siècle. Ainsi, F. Beslay[27], avance par exemple que les Maures sont formés d'Arabes[28] de Berbères et de Noirs, il ajoute que l'introduction de l'Islam par les Arabes au XIè siècle, puis au XVè siècle, et l'échec de la résistance berbère ont conduit à une spécialisation des deux groupes dominants, les Hassân, arabes, vainqueurs se réservent le droit de porter les armes, tandis que les Berbères vaincus sont confinés dans des tâches pacifiques (études et activités économiques) le reste de la population forme la masse des tributaires.

Bien entendu, l'image de la société féodale européenne est présente dans l'esprit de cet administrateur qui n'hésite pas à la transposer ici en partageant les Maures entre noblesse, clergé et tiers-état.

Malgré les limites de ces différentes sources, elles restent d'un très grand intérêt pour la connaissance du passé de la Mauritanie, à condition toutefois d'être utilisées avec méthode et critique.

---

1) Ibn Al-Fqih qui écrit en 290/903 mentionne ainsi le pays des anbiya

.2) Des fouilles menées par l'équipe de J.Devisse , D.et S.Robert ont permis d'identifier d'une manière quasi-certaine le site d'Aoukar (Sud-est de la Mauritanie).

3) « Bahr » peut signifier la mer ou le fleuve.

4) Mouvement politico-réligieux né vraisemblablement sur l'Atlantique au milieu du XI^e^s Al-Zouhri (premier tiers du XII e S.) attribue aux Almoravides la conversion à l'orthodoxie sunnite malikite des populations déjà islamisées par les Ibadites . La présence de foyers ibadites au Sudan est signalée par Ibn Battuta au XIV Siècle.

5) C'est pourqui on les appelle aussi les les Mulatamun.

6) Grand empire Soudanais du Moyen Age dont la capitale (ou l'une des capitales) se situe en Mauritanie (Site de Koumbi Saleh)

7) Il s'agit probablement d'Azugi dont les ruines , près d'Atar ont fait l'objet de quelques fouilles.

8) Mu'jam al-Buldan achevé en 317/1220

9) Ont-il soumis les Zanata au point que ce nom , transformé en Zanaga, est devenu par la suite synonyme de tributaire,

10) Il s'agit sans doute de Qualata.

11) Rappelons qu'Ibn Battuta soulignait aussi la sécurité du trafic .

12) Hasaniya = langue des Banû Hasân descendants de Ma'qil

13) Les tomes 2 et 3 sont déja édités.

14) Nom par lequel est désigné la Mauritanie au XIX Siècle , au Moyen orient.

15) Les quatre cités font partie du Patrimoine de l'Humanité.

16) Wul Nada « Mukhtar b. hamidûn et son encyclopédie « Al wasit » N° 1 , 1987.

17) Qabila (plur qaba'il = tribu

18) R.Caillé : Voyage à toumbouctou . 1824-1829, Paris , lib Plon ,1932.

19) Déformation du nom d'Ahmedou Emir du Brakna. (1818-1841)

20) R.Caillé op; cit., p.32.

21) Mungo Parck : Voyage à l'intérieur de l'Afrique, Maspero Paris , 1980, p. 142

22) Il s'agit très souvent des auxilliaires de l'administration (interprètes , chef coutumier , marabout etc ... qui donnent difficilement des informations pouvant affecter leur intéret ou ceux de leurs alliés traditionnels.

23) P.Marty - L'Emirat des Trarza .Revue du Monde musulman , 1918. (L'Emirat du Brakna . E. Leroux , Paris1920

24) cf Mémoires du Centre des Hautes Etudes Asiatiques et Musulmanes (CHEAM) à Paris.

25) Lageuille R. : 'La crise économique chez les nomades de Mauritanie 1940 à 1944 ; Mémoires de CHEAM T.30.

26) Abodont d'=« Le sel en Mauritanie et au Soudan » Mémoires de CHEAM T.63

27) Beslay F. Aperçu sur les croyances. et institution des Maures . Mémoire CHEAM 1949.

28) Selon Beslay les Arabes representent 20% de l'ensemble.

En plus de l'histoire générale des maures et d'une abondante information ethnographique, Wul Hamidûn consacre à chaque qabila[17] une notice détaillée avec les généalogies, les alliances, les conflits internes et externes.

Le trait marquant de ce travail est son ton souvent apologétique, illustré par le courage attribué à tous les chefs guerriers et la mise en relief des enseignements et du savoir des Zwaya.

Dans un chapitre composé en guise d'introduction aux Ansab (origines), l'auteur choisit un ordre que Ould Nada justifie par le désir de "ménager les sensibilités". Il commence par les qaba'il issues des Murâbitûn, puis les Ansar et les Qoreish.

Un dépouillement critique de ce travail apportera sans doute beaucoup d'éléments nouveaux pour la connaissance de l'histoire de la Mauritanie.

Une part importante des sources orales est détenue par les griots ou igawn sous forme de chanson épique composée à la gloire des chefs Hassan. Un recueil de ces poèmes composé par Saddum Wul Ndiartu vient d'être édité par l'Institut Mauritanien de recherche Scientifique IMRS (1996).

Les sources écrites, internes sont généralement récentes. Très peu de texte à notre connaissance remontent au-delà du XVIIIè siècle. Signalons cependant que, si en milieu nomade, ces textes se limitent généralement à des manuels d'enseignement, dans les villes, il y a une foule de documents à caractère économique (achat de maison, de terre, etc.) qui peuvent fournir une précieuse information sur ces villes et sur l'évolution de leur emprise sur leurs régions respectives.

Les manuscrits mauritaniens, tous en langue arabe, ont déjà fait l'objet d'un premier travail de catalogage et l'IMRS dispose d'une collection assez volumineuse dont une partie est disponible sur microfilms et microfiches.

C. La littérature d'origine européenne :

Les récits des navigateurs européens qui ont commencé à aborder les côtes mauritaniennes vers le milieu du XVè siècle, contiennent des indications sur les populations de cette côte ; les auteurs parlent indistinctement des maures, d'Aznègue, d'Arabe, etc. Les journaux des équipages impliqués dans les rivalités des puissances européennes au XVIIIè siècle autour du commerce de la gomme ne sont pas plus édifiants en ce qui concerne notre propos.

Les explorateurs plus tard ne fournissent que peu d'éléments.

R. Caillié en 1824 décrit le campement d'un marabout du Brakna[18], qu'il qualifie de "grand marabout" du "roi Hamet-Dou"[19] dont le campement abritait un seul marabout qui était le maître d'école.

Le témoignage de R. Caillié montre que certains marabouts jouaient un rôle auprès des Hassan dans la mesure où, pour protéger leurs biens, des tributaires les confiaient à ces marabouts[20].

Lors de son passage chez les Maures du Hawz (sud-est mauritanien) Mungo Parck mentionne l'existence d'une mosquée au campement royal, dont l'Imam était aussi le maître d'école et possédait une petite bibliothèque de neuf volumes. C'est aussi un "prêtre" maure qui annonce la prière[21].

L'exploitation de la première génération de sources enrichies par des navigateurs et explorateurs européens et conjuguées avec les observateurs sur le terrain, a permis l'élaboration d'une documentation assez abondante mais peu variée sur la Mauritanie. La mise à contribution des sources orales et écrites, entretenues par les différents groupements, servit aux administrateurs coloniaux pour établir un schéma d'organisation sociale sur lequel va se fonder l'essentiel de leur stratégie. D'ailleurs, la majorité de ces auteurs, après la pénétration coloniale, est formée d'officiers et d'administrateurs soucieux à la fois de connaître les antagonismes et les conditions de cette société afin de les exploiter au profit du système colonial et d'élaborer à partir de cette connaissance les projets de domination politique et militaire, à moindre prix.

Le caractère événementiel et l'interprétation intéressée prennent souvent le pas sur la recherche des mutations sociales et sur l'impact idéologique qui en est la cause et la conséquence.

La qualité des informateurs[22] et leurs intérêts ne sont guère de nature à pallier les insuffisances d'appréciation de ces administrateurs.

Au centre de cette littérature se trouve l'oeuvre de Paul marty, officier arabisant et responsable des affaires musulmanes de l'AOF (Afrique Occidentale Française). Il publie entre 1913 et 1930 une série de travaux consacrés à l'Islam en AOF. La Mauritanie occupe une place centrale dans ces travaux avec la

Ibn Al-Atir, dans son ouvrage Kitâb al-Kamil fi at-Tarikh, parle de la dynastie lamtunienne des Mulathamûn en lui donnant une origine himyarite ainsi qu'à leur "cousins" Djudala et Lamta qui seraient venus là ensemble, du Yemen au temps d'Abu Bakr al-Sidiq, premier successeur du prophète Muhammad; il mentionne la défaite des Zanata[9] par les troupes d'Abuboker et le retour de celui-ci au Sahara en laissant sur place son cousin Yusuf Ibn Tashifin.

Ibn Battuta qui visite la région au milieu du XIVè siècle (1352) souligne la présence des Masuffa à Tagazza et à Iwalaten[10] et insiste sur leur métier de guides des caravanes à travers le Sahara où la sécurité favorise un important trafic portant sur le sel, l'or et les céréales.

Iwalaten commence déjà à cette époque à jouer un rôle religieux avec la présence des fuqaha et des pèlerins.

Ibn Khaldun, dans la partie géographique de son oeuvre qui concerne le Sahara, considère le Nil (Sénégal) comme la frontière sud du pays des lamtûna et note que le désert est fréquenté par les Sanhaja mulethamûn. Il détaille le fractionnement des Lamtûna, groupe sanhaja mulathamûn qui furent à la tête du mouvement almoravide avant de perdre le pouvoir, et d'essaimer à travers le Sahara qu'ils parcouraient déjà depuis plusieurs siècles, avant l'arrivée de l'islam.

Ibn Khadûn mentionne aussi l'arrivée au Maghreb des Banû Maqil, venus avec les Banu Hilal et dont une partie s'installe parmi les Zanata entre le Sûs et le Touat. Les Banû Maq'il ne tardent pas à jouer un rôle suffisamment important pour devenir des "intermédiaires entre le Maghreb et Bilad al-sûdan".

"Jamais ces arabes ne commirent de brigandages sur les limites du Maghreb, ni sur les plateaux, jamais ils n'interceptèrent les caravanes qui se rendaient de Sijilmassa ou d'autres lieux chez les Sûdan"[11]

La descente des Banû Ma'qil vers le sud les met donc, lentement, en contact avec les habitants autochtones, vraisemblablement issus de la confédération Sanhaja qui ne semble pas avoir survécu dans le Sahara, au-delà du premier élan de prosélytisme inspiré par Ibn Yassin et ses compagnons. La présence d'un ancien peuplement sanhaja auquel est venu s'ajouter un élément arabe à partir du XVè siècle va donner naissance à la société des Bizan où la langue des Banû Hassan (Hassaniya)[12] ne tarde pas à s'imposer à l'ensemble.

B. Les sources internes :

Les sources internes de l'histoire mauritanienne sont disséminées à travers tout le pays tant dans les cités anciennes que dans les grands campements. Tous les groupements détiennent des traditions qui parlent de leur passé. Ces sources sont généralement orales, mais il existe de nombreux Tawârikh (sing.: târikh) dont la fixation par écrit, très récente, contraste avec l'ancienneté de l'islam et la familiarité des habitants de ces contrées avec l'écrit.
La majorité de ces sources est à base d'un énorme travail encyclopédique mis en chantier par Muhtar Wul Hamidûn et intitulé "Hayat Muritaniya"[13]. Le manuscrit de Wul Hamidun aborde l'ensemble des aspects de la société mauritanienne: sa composition, son organisation sociale et politique, son histoire, sa culture. Il met en relief l'arrivée de l'islam et le rôle joué par le "premier enseignant du pays" en la personne de "Abdullah b. Yassin". Puis, il retrace l'évolution politique de Bilad Shingit[14] depuis le "premier Etat des Lamtuna dont il évoque les rapports avec Awdagost et Gânâ. Wul Hamidûn estime que l'islamisation correspond à une période d'épanouissement des villes, Wadan, Tishit, Walata, Shingit[15].

L'arrivée des banû Hassan et leur hégémonie sur le pays sont considérées par lui comme le facteur déterminant dans la mise en place de la société qu'il divise en trois parties[16].

"Une partie appelée Arab; elle se distingue par toutes les qualités de l'homme arabe comme le courage, l'esprit chevaleresque, la générosité.

"Une partie appelée Zwaya ; elle se distingue par toutes les qualités de l'homme religieux comme la piété, les bonnes moeurs, la justice, la diffusion du savoir".

"Une partie appelée al-lahma ; elle se distingue par toute les qualités de l'homme travailleur, sérieux et entreprenant".

Dans un volume consacré à la culture mauritanienne Wul Hamidûn évoque les grands ulama du pays, les disciplines les plus enseignées et les centres intellectuels les plus fréquentés et dont le rayonnement dépassait la seule Mauritanie. Il signale aussi les principaux auteurs maures et leurs travaux dans les différentes branches du savoir.

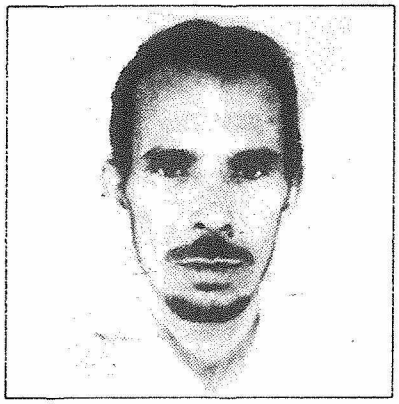

LES SOURCES DE L'HISTOIRE MAURITANIENNE

BAOUBA OULD MOHAMED NAFFE
Université de Nouakchott

La frange méridionale du Sahara Occidental qui correspond aujourd'hui à la majeure partie du territoire mauritanien, constitue depuis très longtemps un terrain de contact entre l'Afrique du nord (Maghreb) et l'Afrique noire (Bilad al-Sûdan).

Les sources exploitées à ce jour pour étudier l'histoire de ce pays et de ses habitants sont de trois sortes. (Nous n'abordons pas ici l'apport inestimable de l'archéologie à cette histoire).

A. Les textes anciens :

L'arrivée des arabes musulmans en Afrique du nord, au VIIIè siècle, ouvre des perspectives d'élargissement pour le Dar-el-Islam au-delà du désert. Le Sahara devient l'une des marches de l'empire musulman; sa connaissance intéresse pour une raison double: reculer les frontières du domaine musulman, d'une part, et drainer les richesses de Bilad-al-sûdan, d'autre part. La connaissance des masâlik (itinéraires) et des peuples qui se trouvent sur les principaux axes devient vitale pour faciliter le trafic entre les principautés du Maghreb et de la Méditerranée d'un côté et l'Afrique noire de l'autre.

Le géographe al-Fazari (VIIIè siècle) mentionne l'état d'Anbiya[1] entre Sijilmassa, Tarudant et Awdaghost[2] Al-Yaqubi au IXè siècle signale une population anbiya, fraction des Sanhaja, qui nomadise entre les autres Sanhaja et les Sûdan. Ibn al-Fiqih, au Xè siècle, mentionne la même population à la lumière des témoignages qu'il avait recueillis. Al-Muhallabi, à la même époque, parle d'habitations berbères sur la route entre Sijilmassa et Awdagost.

Avec Al-Bakri, au XIè siècle, les informations deviennent plus abondantes et plus précises. Il distingue, en particulier, les Arabes et les Zénètes d'Awdaghost et signale les Lamta et les Djazula qui menacent la sécurité des caravanes allant au pays de Sûdan; il parle aussi des Lamtûna qu'il qualifie de nomades sahariens, ignorant la culture et occupant une "vaste région du pays d'islam, au contact avec la terre des Sûdan"; ils sont sunnites, font le pèlerinage et se livrent à la guerre sainte; après les Lamtûna, il y a le Djudala proches de la mer "Bahr"[3].

Lamtûna et Djudala sont présentés comme le fer de lance du mouvement des Murabitûn (almoravides)[4].

Comme d'autres sahariens, les lamtûna portent un voile (niqab) au dessous du litâm[5] (turban) et l'absence de ce voile est considérée comme impudique. En plus de leurs troupeaux dont ils tirent l'essentiel de leur alimentation, ils exploitent les mines de sel telle que "Awlil" au bord de la mer, en territoire Djudala. Ce sel est acheminé par caravanes vers les pays voisins et notamment à Gâna[6] où vivait déjà une forte communauté d'origine nord-africaine et musulmane.

Al-Idrissi évoque, avec assez de précision, le trafic du sel à partir d'Awlil par le Nil (Sénégal sans doute) et donne les noms d'un chapelet de villes le long de ce fleuve, dont la, ville de Tajkrûr, qualifiée de centre commerçant de première importance au moment où Awdaghost est devenue une petite ville située dans le désert, tirant sa subsistance d'un élevage de chameaux et soumise à l'influence de Gânâ.

En revanche, Azûki[7] apparaît comme une petite ville prospère implantée à un carrefour de routes caravanières sur le territoire commun des Masûfa et des Lamta.

Les Lamtûna, parmi lesquels se recrutaient les princes Almoravides, semblent s'être installés au voisinage immédiat des Sûdan selon Yaqût[8] qui les qualifie de nomades.

La Commission Nationale pour l'Education , la Science et la Culture : Objectifs et structures

La Commission Nationale pour l'Education, la Science et la Culture a été créée par décret n°174/63 en date du 09/08/1963. Elle est passée par plusieurs étapes avant d'être réorganisée par décret n°136 du 27/09/1989. En vertu de ce décret, la Commission est devenue une structure de liaison et de coordination entre les organisations opérant dans le domaine de l'éducation, de la culture et des sciences et les différents secteurs de l'Etat. Elle joue également le rôle de conseiller du gouvernement pour toutes les affaires concernant ces organisations, leurs programmes et leurs activités. La commission assiste aux congrès et colloques internationaux en concertation avec les représentants des organisations à caractère culturel, éducatif et scientifique.

Ses objectifs :

Les objectifs de la commission sont ainsi définis :

- l'étude des questions relatives à l'éducation, la culture et la science dans notre pays;
- le suivi de la coopération avec les organisations travaillant dans ces domaines, particulièrement l'UNESCO, l'ALECSO, l'ISESCO et l'ACCT;
- l'encouragement des échanges culturels, scientifiques et éducatifs au niveau national et international;
- l'encouragement de la tenue de réunions périodiques sur la recherche scientifique, l'information et la culture en coopération avec les Départements ministériels concernés;
- amener l'opinion publique à mieux connaître les organisations internationales et leurs objectifs.

La structure administrative :

L'organisation de la commission prévoit 2 structures : l'une pour la concertation, l'autre pour l'exécution.

La première dite assemblée générale est composée de :
- Président d'honneur : le Ministre des Affaires Etrangères et de la Coopération ;
- Président : le Ministre de la Culture et de l'orientation Islamique ;
- 3 adjoints :- le Ministre de l'Education Nationale,
- le Ministre de la Communicaton
- et le Secrétariat d'Etat à l'Alphabétisation;
- des membres représentant les Ministres de la **Culture**, de **l'Education**, de la **Communication** et de **l'Alphabétisation** et d'autres choisis pour leurs compétences dans le domaine de l'éducation, la science et la culture.

La désignation du président d'honneur, du président, de ses adjoints et des autres membres se fait par décret. Leur mandat est de 3 ans renouvelables. L'assemblée générale discute et approuve le programme de travail annuel ou triennal de la commission ainsi que le bilan annuel et le budget.
La structure d'exécution est présidée par un secrétaire général qui a les mêmes prérogatives que les secrétaires généraux des ministères. Il est nommé par décret. La structure comprend également un secrétaire général adjoint et des départements chargés de la culture, de l'information, des affaires administratives et des organisations internationales ainsi qu'un comptable désigné par le Ministère des Finances.

- Monsieur le Premier Ministre
- Messieurs
- Mesdames

Cette exposition, voulue à un niveau technique élevé, itinérante entre différentes Capitales et grandes villes, vise à faire connaître un patrimoine humain ayant une spécificité lui conférant une beauté particulière et une importance hors du commun auprès des chercheurs et spécialistes qui seront, ainsi, poussées à davantage de fouilles, de recherches et de conclusions.

Elle vise également à présenter au public son héritage merveilleux et à le sensibiliser sur sa protection face au pillage et à la disparition.

- Monsieur le Premier Ministre
- Messieurs
- Mesdames

Le partenariat distingué qui a lié des institutions sud/sud à des institutions sud/nord, une concrétisation effective du rêve de partenariat souhaité depuis des décennies par la Communauté Internationale, souligne aussi un cas humain à saluer : le fond de la pratique civilisationnelle nous conduit toujours aux sources de la vertu innée dans notre humanité et nous amène à répondre positivement à des objectifs nobles, à savoir l'édification de la civilisation et de la conservation de ses témoins communs dans un espace humain tolérant qu'on peut appeler : le dialogue des civilisations.

Les précieux objets d'art que vous mettez à contribution dans cette exposition réécrivent l'histoire de la région dans sa globalité, malgré les vicissitudes du temps.

C'est pour cela que votre expérience servira d'exemple à suivre pour les Musées Africains soucieux d'accompagner le progrès énorme réalisé dans les domaines de la conservation, l'acquisition et l'exposition.

En vous remerciant et en vous invitant à continuer de jouer ce rôle important, je tiens à porter hommage à ce que vous avez réalisé malgré la rareté des ressources et l'hostilité de l'environnement.

Mes remerciements et mes hommages portent particulièrement sur les efforts déployés et les appuis matériels et moraux apportés par nos partenaires pour faire réussir cette manifestation civilisationnelle internationale ; il s'agit notamment de l'Union Européenne, Réunion des Musées Nationaux, la Fondation ELF, la Coopération Française et la Coordination Régionale de l'exposition pour leurs efforts et leur soutien financier et moral apporté à la réussite de cette manifestation internationale.

Je ne peux terminer sans rendre hommage au regretté Professeur Jean Devisse, décédé à Paris le 17 Juillet 1996, initiateur et commissaire général de cette exposition. Jean Devisse, je le rapelle, fut chevalier de l'Ordre du Mérite National.

- Monsieur le Premier Ministre
- Messieurs les Ministres
- Messieurs les Ambassadeurs
- Messieurs
- Mesdames

Avec l'aide d'Allah, j'invite Monsieur le Premier Ministre à procéder à l'ouverture de "l'exposition Vallées du Niger" tout en souhaitant bonne santé et heureux séjour aux hôtes de la République Islamique de Mauritanie.

Je vous remercie

Discours du Ministre de la Culture et de l'Orientation Islamique à la céremonie d'ouverture de l'exposition «Vallées du Niger»

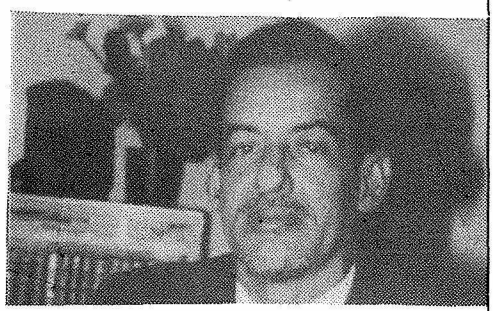

- Monsieur le Premier Ministre
- Messieurs les Ministres
- Messieurs les Ambassadeurs
- Honorables Invités

L'exposition " Vallées du Niger " est organisée ici, là-même où elle a vu le jour pour la première fois, au berceau de la civilisation du "Sahel" et carrefour des courants de reflexion et des caravanes d'approvisionnement économique de cette civilisation : la Mauritanie, l'héritière de " l'Empire du Ghana " avec sa Capitale prospère "Koumbi Saleh".

Cette Capitale fut le centre de rayonnement et la tour scintillante de la Vallée du Niger, mais plus que ceci, elle fut le noyau central des villes du désert et du Sahel qui se sont distinguées par leur marque architecturale superbe, leurs formes géométriques pratiques, les décors de leurs façades riches et le mode de vie aisé à Djenné, Gao, Oualata, Aghdamés, Marrakech et d'autres belles cités dont la mémoire du Grand Désert ne cesse d'évoquer les qualités, reliant les plages méditerranéennes aux côtes des Vallées du Niger.

Il n'est donc nullement étonnant que vous vous trouviez ici ensemble. En effet, et à quelques kilomètres de ce Musée, se trouve le "Ribatt", point de départ des troupes Mourabitounes qui ont atteint et dépassé le bassin du Niger au sud et " Gibraltar" au nord, porteuses de l'Islam, message de tolèrance, d'édification de civilisations et de libération de l'Homme et de ses énergies créatives ; l'Islam créateur de d'un savoir et d'un savoir-faire au profit de l'Homme.

La civilisation n'est d'ailleurs que savoir, savoir-faire et éternité.

La Mauritanie, prospère sous la présidence du Président de la République son Excellence Monsieur Maaouya Ould Sid'Ahmed Taya, est en train de fonder une société d'auto-réconciliation, de respect de l'autre et de son opinion et de liberté d'expression et de création

Elle est en train aussi de faire renaître un passé glorieux sur les traces duquel elle s'inspire pour préparer l'avenir.

Son Excellence Monsieur de la République , en faisant de la Culture un secteur de souveraineté, a voulu confirmer le rôle joué par la Mauritanie et son apport en matière de civilisation.

Ce secteur est appelé à promouvoir la culture, héritage, création et pratique, dans les différents domaines.

La présence parmi nous de Monsieur le Premier Ministre, pour présider cette céremonie grandiose, malgré ses lourdes responsabilités est une preuve de la place importante qu'occupe la culture dans le programme de son Gouvernement.

Al Mawqib Theghafi

Revue éducative , scientifique
et culturelle
Publiée par la Commission Nationale
pour l'Education, la Science et la
Culture
CNESC
BP 5115 Tel. 54803 fax 52802
Nouakchott

Directeur de publication
Ahmed Beddy Ould Ahmedou Vall

Ont participé à ce numèro
Abdallahi Fall
Bowba Ould Mohamed Nave
Mohamed vall Ould Cheikh
Zekeria Ould Ahmed Salem

Sécrétaire et coordinateur de la rédaction

Ahmed Ould Cheikh

Tiré sur les presses de l'Imprimerie Nationale

P.AO
M.M.L.Bédjeu Tél 544 61

Editorial

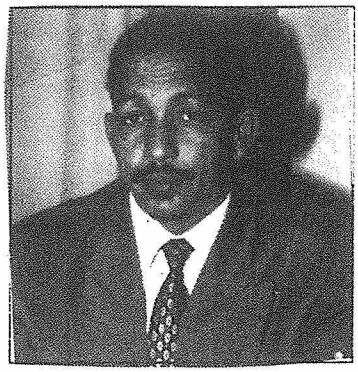

AHMED BEDDY OULD AHMEDOU VALL

Après ce numèro test que vous avez entre les mains, Al Mawqib Theghafi paraîtra désormais tous les deux mois. Couplé avec l'édition arabe, il "volera de ses propres ailes" dès le prochain numèro.
Les èchos favorables rencontrés par Al Mawqib dans les milieux culturels mauritaniens et arabes ont fini de nous convaincre d'étendre l'expérience à l'édition française.

Nous avons choisi la périodicité de deux mois pour deux raisons essentielles:

- L'événement et la production culturels ne sont pas encore suffisamment abondants pour alimenter une revue mensuelle;

- la collecte d'une matière de quanté, la saisie, la mise en page et l'impression exigent beaucoup de travail et prennent souvent plus de temps qur prévu.
Enfin à l'heure où notre pays connaît un essor culturel sans précédent consécutif à l'enracinement de la démocratie, nous ne pouvons que nous féliciter de l'impact positif de la liberté d'édition et d'expression sur la production culturelle, intellectuelle et littéraire..

Al Mawqib Theghafi

Revue éducative , scientifique et culturelle
Numéro Test- Oct-Nov-Décembre 1996

PRIX : 200 UM

Exposition Vallées du Niger
Discours du Ministre de la Culture et de l'Orientation Islamique à la céremonie d'ouverture — Page 2

Les sources de l'Histoire Mauritanienne — Page 5

Femmes et Sociétés en Mauritanie — Page 11

L'Espace Mauritanien et son rôle dans le Commerce Caravanier médiéval transsaharien — Page 16

N:6.7.8